حسن عبد الموجود

السهو والخطأ

قصص

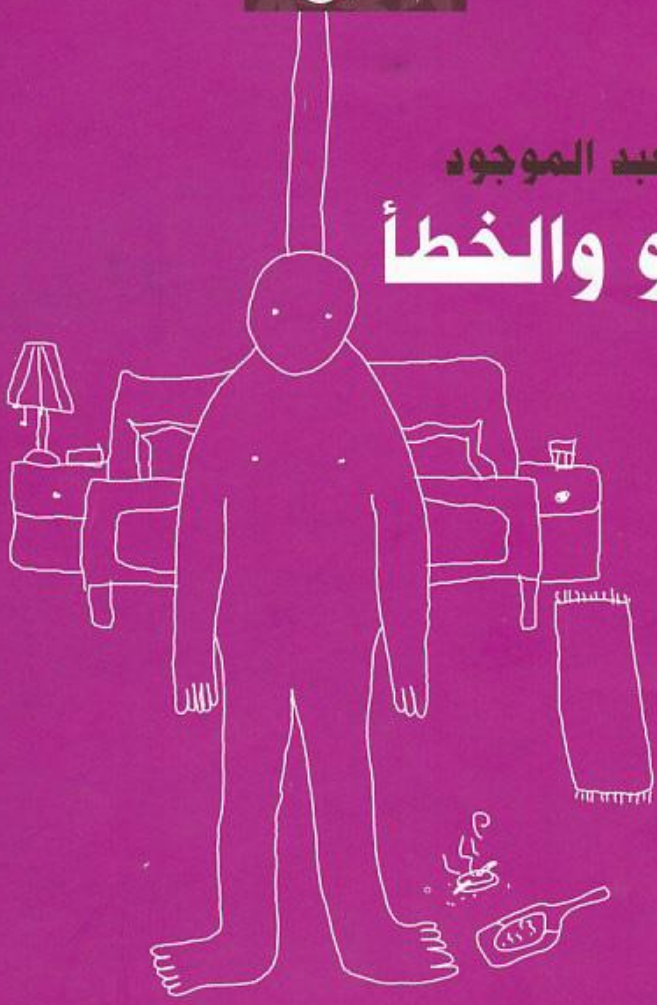

fb/mashro3pdf

السهو والخطأ

fb/mashro3pdf

السهو والخطأ
قصـــص
الطبعة الأولى: ٢٠١٦
رقم الإيداع: ٢٠١٦/١٠١٠٣
الترقيم الدولي: ٤-٠١٧-٨٠٣-٩٧٧-٩٧٨
الغـــــلاف: حاتم سليمان
جميع الحقوق محفوظة
الكتب خان للنشر والتوزيع ®
١٣ شارع ٢٥٤ ـ دجلة ـ المعادي ـ القاهرة.
تليفـــون: ٠٢٠٢٢٥١٩٦٥٦٩+ ـ ٠٢٠٢٢٥١٧٠٦٧٨+
بريد إليكتروني: info@kotobkhan.com
موقع إليكتروني: www.kotobkhan.com

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب، بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة، أو استخدام أي وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذنٍ خطّي من الناشر.

Arabic Language Translation Copy Right ® 2016 Al Kotob Khan for Publishing & Distribution The Moral Rights of the author have been asserted. All rights reserved.

fb/mashro3pdf

السهو والخطأ

قصص

حسن عبد الموجود

fb/mashro3pdf

فهرسه أثناء النشر

الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية المصرية

عبد الموجود، حسن

السهو والخطأ: قصص/ تأليف حسن عبد الجواد. ـ ط١ . ـ القاهرة: الكتب خان للنشر والتوزيع، ٢٠١٦

١١٨ ص، ٢٠ سم

تدمك: ٤ – ٠١٧ – ٨٠٣ – ٩٧٧ – ٩٧٨

١ ـ القصص العربية

أ ـ العنوان

رقم الإيداع: ١٠١٠٣

الطبعة الأولى ٢٠١٦

fb/mashro3pdf

إهداء إلى:

طـارق إمــام

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

السُكَّر في فراغات الشاي

أضع ثلاثة مكعبات من السكر في كوب الشاي، تتبخر حتى قبل أن أقلبها. يقولون إنها تختفي في الفراغات، وأفكر في أنني أذوب مثلها في هذا العالم فلا يراني. ينتشلني الصوت من تفكيري مرة أخرى. أجري ناحية الباب، وأنظر من العين السحرية وأرى جاري الضخم، أخيرًا، يتعمد الاصطدام بكيس القمامة، ويلقيه أمامه، ثم يدوسه بحذائه. من مكاني كنت أسمع صوت قرقعات "الكانز" وعظام الدجاج والخبز الناشف تتهاوى تحت قدميه الضخمتين. فتحتُ الباب بسرعة، ولكنه اختفى في لحظة، كأنه تبخر، أو طار من فتحة التهوية أعلى "بسطة السلم". "مصارين" الكيس الأسود خرجت على الأرض، جريتُ إلى جوارها محاذرًا أن أدوسها، وقفزتُ السلالم ولكن لم يكن له أثر، ونظرت إلى السماء كأنما أتوقع طيرانه.

منذ متى وأنا أقطن هذا الحي؟ ربما منذ ثلاث سنوات. المساحة الصحراوية الشاسعة حولنا بدأت في التقلص، البنايات كانت تولد

fb/mashro3pdf

بسرعة كأنما تتكاثر. صوت خلاطات الزلط والأسمنت والجرافات والأوناش صار صديقًا خلال هذه السنوات. كان أنيسي في لحظات الوحدة، المقاولون ينجزون أعمالهم بسرعة، ويبدون وحوشًا تأكل الرمال التي كانت تنسحب إلى الخلفية. هنا في مدينتنا الجميع يمارس طرد الرمال لتصبح خلفية للوحة. صارت تلك الرمال ذكرى بعيدة، لا تقفز إلى رأسك إلاَّ حينما تضطرك الظروف إلى مشاهدتها بسيارتك من المداخل والمخارج البعيدة للمدينة. مرت السنوات الثلاث بدون أن أقابل جاري وجهًا لوجه، كنت أراه فقط في بلكونته يلقي القمامة، وكنت أندهش جدًّا من إقدامه على هذا الأمر، فالعمال لم يتأخروا يومًا عن المجيء في موعدهم لجمع القمامة. كونت عنه صورةً ما تناسب حجمه. لم أستطع أبدًا تمييز ملامحه، التي تبدو من المسافة بيننا دائمًا غائمة في وجهه الضخم. خمنتُ أنها دقيقة جدًّا ولا تناسب هذه الضخامة المُفرطة للوجه والجسد والأطراف، كنت أفكر في أن بلكونته قد تهوى به من فرط ثقله، لم يكن يفعل شيئًا سوى إلقاء القمامة والاصطدام بأكياسي. العمال لا يُنظفون. يأتون لجمع الأكياس، والمتناثر منها يتركونه، وكانت هذه فرصتي الأولى لإيقافه عند حده، ولكنه ذاب في الفراغ.

من شباك غرفتي تحته ينظر إليَّ من خلف شباكه. انتفضتُ مرعوبًا، كان يحدق إليَّ وابتسامة شامتة تُطل من شفتيه، أو هكذا تخيلت. فتحتُ الشباك وتبَدَلَ شعوري من الرعب إلى الغضب، وبدأتُ ألوح له بيديَ، وأصيحُ عليه، أقولُ إن عليه أن يكُفَ عن الاصطدام بأكياسي، ولكنه

fb/mashro3pdf

ظلّ متحجرًا كصنم، قبل أن يغلق ستارة الشباك بيده. كيف صعد إلى منزله بتلك السرعة؟! بالتأكيد كان يختبئ في مكان ما، ربما كان يراقبني من مكمنه، وحينما رآني أدخلُ إلى البناية بدأ الصعود محاذرًا ألاَّ يُصدرُ أصواتًا. شاهدتُ فيلمًا قبل ذلك واكتشفتُ مع نهايته أن الممثلة وابنيها هم الأشباح، والعالم الذي كانوا مرعوبين منه هو العالم الواقعي، فهل يمكن أن يكون ذلك الجار مجرد شبح، أم أنني من يقوم بدور الشبح؟! أضحك، ولا أعرف متى أكف عن التفكير في نفسي هكذا، أعلم بالتأكيد أنني حي، هناك شواهد كثيرة على ذلك، نعم.. ليس هناك من يسألون عني، أنا شخص أفتقد والدين وأصدقاء وأحبة، اخترتُ العزلة، حتى زملاء العمل الذين حاولوا مصادقتي عرفوا أنني مجرد حائط لا تخترقه كلمات ترحيبهم. أتعمد جرح أيديهم التي تحاول لمسي. ملامحي كالصخر، أنظر إلى المرآة أحيانًا لأدرب نفسي على التجهم. لم يحتاجوا إلى وقتٍ طويل، ابتعدوا عني، لكنهم كانوا- مع هذا- أكثر ما يؤكد لي أنني كائنٌ يتنفس. كنتُ أراهم بشكل دوري في مواعيد عملي. وجودهم يلزمني للتأكيد على حضوري.

تلك السيارات التي تسير بجواري على "المحور" في اتجاهها إلى العاصمة، حيث عملي، تُنبئني بحياتي. كنت أتخيل- كثيرًا- أنني ميت أقود سيارة لا يراها الآخرون، وأكثر من مرة أجرب الخروج عن حارتي ليصب عليَّ الآخرون لعناتهم، أعود إلى الصف مبتسمًا ومطمئنًا. كنتُ حين تسيطر عليَّ فكرة موتي، أفتح التلفزيون، وأرفع صوته، أو أدخل إلى الإنترنت من الموبايل، قائمة تليفوني بالمناسبة لا تضم سوى أسماء

fb/mashro3pdf

معدودة، مديري في العمل الذي أضطر إلى مهاتفته أحيانًا، لأخبره بمرضي واستئذاني في الغياب، ومجموعة من العمال، سباك ونجار وكهربائي، أتعامل مع وظائف لا أشخاص، وأُسجل أرقام من أعرفهم على الموبايل بمسميات وظائفهم، الإدارة، الكهرباء، النجارة، السباكة، وهكذا. كنتُ أخرج بسرعة خاطفة أحيانًا إلى البلكونة وأوجه مفتاح السيارة إلى الفراغ، وحينما ينطلق صوت سيارتي أشعر بطمأنينة. كان جاري يظهر بسرعة أيضًا في مثل هذه المواقف ويُقلدني، وكان صوتا السيارتين يتداخلان. كنت أشعر بالغضب منه أحيانًا، ولكني أفكر في النهاية أنه يزيدني اطمئنانًا. لكنني أحيانًا أخرى أتعرض لأمور تكاد تخبرني بأنني غريب، إما أنني غريب وإما العالم بأسره غريب، أشعر أن جاري- الذي لا أعرف عنه شيئًا- موجود ليشعرني بغيابي، حينما يظهر أبحث عن نفسي، سألت- مرة- أحد عمال النظافة، فقال إنه لا يعرف عنه شيئًا، مُستفيضًا في الكلام عن بخله، كان عامل النظافة متحمسًا وهو يحكي المواقف التي يكون متأكدًا خلالها أن جاري موجود داخل شقته، ويطرق الباب كثيرًا، يُقسم العامل أن الجار يحرص على أن يُسمِعه صوت تنفسه، أو حركته، ومع هذا لا يرد، لأنه لا يريد دفع إكرامية، قال إن الجار يُلقي القمامة من البلكونة، وليس معنى هذا ألاَّ يدفع، لأنهم يضطرون إلى حملها من الشارع.

مررتُ في حياتي بكثير من المواقف الغريبة. في أول امتحاناتي الجامعية وجدتُ لجنتي خاوية، وأخبروني هناك أنَّ الامتحان كان أمس. كدتُ أنفجر، أقسمتُ أنني نقلت جدول الامتحان بشكل صحيح،

fb/mashro3pdf

وبدا من ملامح الموظفين أنني مجنون، لأن كل ما نقلته يتناقى تمامًا مع ما يقولونه. ذهبتُ بصحبتهم إلى لوحة الإعلانات، ووجدتُ ترتيب الجدول متطابقًا مع كلامهم. أحدهم قال لي غاضبًا إنهم بالتأكيد لا يتآمرون عليّ، وليس معقولاً أنهم أعادوا ترتيب الجدول وأبلغوا كل الطلاب باستثنائي أنا بالذات. كان زملائي في الجامعة يتعاملون معي باعتباري "غريب الأطوار". وكنت أقول- وأنا أشهد ملامحهم تنطق بهذا- إنه لا مشكلة، لأني أؤمن بأنه لا بد أن يقوم كل شخص بدور ما بالنسبة إلى الآخرين. نحن نُفضل دائمًا اختزال الآخرين في صفة وحيدة، صفة نجعلها طاغية على الصفات الأخرى، نقول إن هذا الشخص شرير أو طيب، ذكي أو غبي، متجهم أو ضاحك، عادي أو غريب الأطوار. كنت أرى أنهم غريبو الأطوار، فذلك الشخص- على سبيل المثال- الذي يُصر على الضحك في كل المواقف غريب جدًا بالنسبة إليّ، ومع هذا كنت مقتنعًا بحقهم في أن يرونني هكذا، طالما أنني سمحت لنفسي بالتفكير على هذا النحو. كنت أدعو الله- دائمًا- أن تنتهي فترة دراستي على خير، فهذا يعني أنني سأحدد حياتي، يمكنني أن أتحكم أكثر في عدد الناس الذين سأتعامل معهم. في الدراسة مئات الزملاء والأساتذة، ولكن بعد ذلك يمكن تقليص العدد كثيرًا، خاصة إذا ما اخترت مهنة تساعدني على ذلك. اخترت بلا تردد وظيفة في معمل. كانوا يضعون أوراقهم أمامي، أنظر فيها ثم أرشدهم بأقل عدد من الكلمات إلى ما يجب فعله، ثم أنقل العيِّنات إلى الأطباء. لم يكن لديّ دافع إلى الزواج. ليس هناك من يجبرني على ذلك. كنت أرى عيّنات

fb/mashro3pdf

"المنِيّ"، مئات الحيوات هنا تبحث عن فرصة للحياة، وأندهشُ لأن الأشخاص مهمومون بالتكاثر، يبحثون عن أشباه صغار لهم، وكنتُ أفكر في أن الأميبا أفضلُ حالاً، إذ تحافظ على بقائها بالانقسام، لا أعرف إن كانت الأميبا تشعر بالنشوة الجنسية أم لا، لا يهمني ما يعتقده العلماء، ويعجبني ذلك الانقسام اللامتناهي، العالم يتفرع إلى آلاف الخطوط بدون إجبار على شيء. كنت أشعر بأنني أهذي. أقول لنفسي إنني بالتأكيد أهذي، وأتوقف عن النظر إلى العيِّنات التي تحاصرني.

وكنت من باب تمضية الوقت أشاهد أفلامًا ومسلسلات ومبارَيات، وفي هذا التوقيت شعرتُ برغبة في مشاهدة المنتخب، كان هناك ما يشبه الحُمَّى العامة، الجميع ينتظر مباراة فاصلة لو فاز بها المنتخب سيصعد إلى كأس العالم. فاز المنتخب بالفعل، ولكن لم يحدث شيء. لم يعرض التلفزيون مشاهد الفرحة المتوقعة. الشاشات كانت تعرض برامجها العادية، في اليوم التالي صدمني عنوان رئيسي في جريدة "هزيمة كارثية للمنتخب"، لم أفهم معنى هذا، قرأت التقرير، ونظرت إلى الصورة وحالة الألم على وجوه اللاعبين، حاصرني الرعب مرة أخرى، فما الذي يعنيه هذا؟ لقد شاهدت المباراة. المنتخب فاز، وهؤلاء اللاعبون الذين يبكون في الصورة كانوا يتقافزون أمامي فرحًا. أوقفتُ أحد زملائي، وسألته: "المنتخب خسر؟!"، وجاوبني الزميل- الذي كان ينظر إليَّ غير مصدق أنني أحدثه- بإيماءة من رأسه. شعرت بأنني أريد أن أبكي أو أوقفه لأسأله مجددًا: "هل تراني فعلاً؟ هل أنا موجود؟!"، كنت أمر في الشارع، وكانت حركة السيارات بطيئة، ورأيتُ على البعد كمينًا، في تلك اللحظة سقط شيء

fb/mashro3pdf

بجوار قدمي، كان لفافة حمراء، التقطتها من الأرض، تشممتها ناظرًا إلى السيارات المتوقفة، ولكن زجاجها جميعًا كان مغلقًا. بالتأكيد هناك شخص ألقى هذا الحشيش من سيارة، فليكن، وضعتها في جيبي وسِرتُ قليلاً. دخنتُ سيجارتين متعاقبتين في المنزل، ثم تدافعت الأفكار إلى ذهني، وسيطرت عليَّ فكرة أنني أهبط من جبل، فقدتُ القدرة على التوقف، وبالتأكيد تلك الخطوات التي أحاول أن أتحكم فيها ستتحول إلى ركض ثم طيران يعقبه اصطدام جسدي المؤلم بالصخور. وضعتُ نفسي تحت "الدُش"، وشربتُ فنجانيّ قهوة متعاقبين، ولكن عقلي لم يكف عن التفكير، ودعوتُ الله أن يخرجني من تلك الأزمة على خير، ووعدته بأنني لن أعود إلى الحشيش مرة أخرى، كان كل ما أتمناه أن أعود إلى طبيعتي، لا أعرف كيف يشعر الناس حينما تعمل عقولهم بهذه الطاقة المرعبة، حينما رن جرس الهاتف وفتحت كان عامل النظافة، بمجرد أن رأيته صحت: "أنا ميت.. أنا ميت!"، والرجل تمتم بعبارة، وهو ينظر إلى نصفي السفلي، ثم غادر مسرعًا، وانتبهت في تلك اللحظة إلى أنني عار تمامًا.

بمجرد عودتي من العمل ذات مرة قررت أن أغير شيئًا من حياتي. رؤية جاري، لمسه، مصافحته بشكل أدق، رؤية تجاعيد وجهه إن وُجدت، أو تقطيباته، ثنيات "بنطلونه"، رائحة عرقه أو عطره، تعني فعلاً أن الأمور طبيعية. طرقتُ بابه، ولكنه لم يفتح، انتظرت في البلكونة، حتى رأيته قادمًا، التقت أعيننا، وهنا قرر الجار التوقف محدقًا إليَّ، بالتأكيد يحتاج إلى دقيقتين أو ثلاث ليصعد إلى شقته في الدور الرابع، ويمر بي في الثالث، تركتُ البلكونة سريعًا، وفتحتُ باب الشقة. مرت الدقائق بطيئة

fb/mashro3pdf

بدون أن يظهر، وفكرت في ترك مكاني والعودة إلى البلكونة، لولا أن قفز إلى ذهني خاطر، أن الجار يختبئ بالأسفل. هبطت الدرجات، ومسحت السلم بعينيّ، ولكن لم يكن هناك أثر له. نظرت من فتحة التهوية إلى المكان الذي كان يقف فيه، ورأيتُ قطة تقلب شيئًا لم أتبينه، وبشكل لا إرادي ارتفعت عيناي إلى شقته، ووجدته ينظر إليّ، وخمنت أن وجهه تسيطر عليه ابتسامة تشفٍ. شعرتُ مجددًا- لمرة يبدو أنها لن تكون النهائية- بالهلع، الآن تأكدت أن ذلك الجار مجرد شبح. ثم فكرت في فوز المنتخب، وتعامل الجميع على أساس خسارته، وهكذا- ملأني الهاجس مجددًا- العيب فيّ لا في العالم، من الواضح أنني ميت، ولكني لا أريد أن أعترف لنفسي بهذا، صحيح أنني ألمس الأشياء وأتذوقها، أسمع أصوات الناس، والآخرون يستجيبون لصوتي، إلاّ أن هناك شيئًا خاطئًا في كل هذا، لا أستطيع أن أوقف الأفكار، إنها تبدو كخيوط، كل واحدة مربوطة في نهاية الأخرى، كأنها تخرج من جراب ساحر، لا نهائية، ومرعبة. أنظر من الشباك. كان الجو عظيمًا في ذلك التوقيت. رغم كل شيء لم نستطع القضاء على الصحراء تمامًا. ما زالت علاماتها تظهر حينما تهب الرياح. تتجمع في شقوق البلاطات المحيطة بالحديقة في مواجهتنا، الأخضر يبدو مثل محتل يحاول بكل الطرق القضاء على الأصفر. حتى تلك الأفكار معناها أنني ما زلت أفكر. الأحلام أقرب إلى الموت، لا وجود فيهما لخلفيات. لو أنني في العالم الآخر لما رأيت الصور بهذا السطوع. في المدينة الصحراوية الصور سميكة. الألوان حاضرة، القِدم هو ما يمنح القاهرة صورتها الشبحية. ذلك اللون الرمادي الذي انسحب على وجوه السكان أنفسهم هو ما يجعلها

fb/mashro3pdf

أقرب إلى الحلم أو الموت. الأمر لا يفرق. أتأمل لافتات الأطباء هنا وفي القاهرة. الأسماء في المدينة الصحراوية شديدة الوضوح، كأن اللافتات كُتبت حالاً، بشكل يمنحك إحساسًا بأنها مدينة لأطباء خارجين حالاً من المصنع، وفي القاهرة الأسماء تختفي خلف ذلك اللون الكئيب، على كوبري أكتوبر تكاد تتلاشى خلف سرطان المباني. كل شيء هنا من المفترض أن يجعلني ممتنًا لأنه يدل على حياتي، ولكنني لا أجد نفسي إلاَّ في القاهرة. الغضب الذي يسيطر على الناس، ربما عددهم الكبير حولي هو ما يمنحني الطمأنينة. يكفي أن تدوس قدم أحدهم متعمدًا حتى يدهسك بعباراته. قررتُ أن أكون أكثر تركيزًا خلال الفترة المقبلة. اخترت مشاهدة مسلسل أعرف من الإعلام أن نسبة مشاهدته مرتفعة. بالتأكيد سيكون أحد زملائي في القاهرة يشاهده. حلقة مملة وسوداوية. الممثل الأسمر، أحد الأبطال الرئيسيين كما أفهم، مات في حادث. في اليوم التالي فتحت موضوع المسلسل أمام الزملاء في توقيت كان المعمل فيه خاليًا من الناس. كانوا ينظرون إليَّ بدهشة حقيقية، وخاصة وأنا أخبرهم بمصرع الممثل. اثنان من الثلاثة شاهدا المسلسل، وأكدا لي أن الممثل لم يمت، وتساءل أحدهم ساخرًا: "كيف يموت أحد الأبطال الرئيسيين؟!"، بينما قال لي ذلك الذي سألته عن المنتخب: "واضح أنك تعاني من تهيؤات!"، وقبل أن أغادر الشركة أحضَرَ لي جريدة وأشار إلى تقرير يحمل تفاصيل حلقة اليوم، وفيها صورة الممثل الأسمر، وأكد لي أنه سيتزوج من الفتاة التي يحبها رغم رفض أهلها.

fb/mashro3pdf

فكرتُ في أن أقول لهم جميعًا أنني بحاجة إلى مشاهدة إحدى المباريات أو إحدى حلقات المسلسل معهم. ربما برنامج "توك شو"، أو حتى برنامج طبخ، ولكنني لم أفعلها. تخيلتُ، وأنا أقود سيارتي على "المحور" أن أحد اللاعبين يحرز هدفًا، بينما يشاهدون هم في نفس التوقيت اللاعب يطيح بالكرة خارج المدرجات. أمثل أنني سعيد، إذ أنني لا أحب كرة القدم، بينما يضعون هم أيديهم على خدودهم، ليس لأنهم يشجعون الفريق الآخر، وإنما لأنهم يشاهدون شيئًا آخر. كانت السيارات تنطلق حولي بسرعات متفاوتة. بعضها ينطلق كالريح ويختفي، كأننا في لعبة سيارات، وقفز إلى ذهني مشهد مكعبات السكر الثلاثة وهي تختفي في الشاي، ثم انتبهت إلى سيارة تحاذيني في تلك اللحظة، كانت سيارة شرطة، ثم انتبهت إلى ضابط على موتوسيكل من الناحية الأخرى، واضطررت حسب الإشارات إلى التهدئة ثم ركنت السيارة جانبًا. عرفت في تلك اللحظة أن الرادار التقط سرعتي الكبيرة، شعرت بفرحة شديدة، ورَبَتَ على كتف أحد الضباط معتذرًا بحرارة يبدو أنه كان مبالغًا فيها، لأن الضابط نظر إلى يدي فرفعتها بسرعة، وأنا أتمتم: آسف!

حالة الاغتراب والعزلة الكاملة عن العالم .. كالسكر في فراغات الشاي

fb/mashro3pdf

كلب يدخن

كان يَسمع نباح الكلاب الأخرى في الشرفات القريبة فينبح بدوره.

السماء كانت تعني أن هناك عالمًا آخر بالنسبة إليه. تحليق الطيور كان يصيبه بالجنون. نباح يمتزج فيه الخوف بالفرح بتلمس حياة أخرى لا يعرفها.

كلب صغير أصابني بالحيرة، فحتى تلك اللحظة التي قررت فيها زوجتي أن تحضره إلينا لتخرُج من نوبة اكتئاب لم أتخيل أبدًا أن يعيش كلب معي في بيت واحد. صحيح أنه صغير الحجم، ولا خوف منه، غير أن حادثة قديمة أبقته طوال الوقت بعيدًا عني بمسافة سنتيمترات. كان يحاول شمّي بكل الطرق، وكان يُبدي سعادة طفولية في كل مرة يخرج فيها من الشرفة حيث منزله الصغير الذي تغلفه زوجتي في الشتاء ببطانيتين، حيث يستمر في القفز من كرسي إلى كرسي، ومن كنبة إلى أخرى. تعرضتُ لعضة كلب في الماضي البعيد جعلتني زائرًا لمستشفى حكومي لمدة ٢١ يومًا، حيث اخترق سن الحقنة بطني نفس عدد مرات

fb/mashro3pdf

الزيارات، وكنت أعتبر أي كلب مهما كان نوعه عدوًّا. أمر آخر جعلني أتحاشى التعامل معه، فرغم أن زوجتي أخبرتني بأنه نظيف، وأنها علمته أين يقضي حاجته، لكنه حينما كان يشعر بسعادة بالغة كان يفعلها في أي مكان، وهكذا أغرَقها وعددًا من الضيوف ببوله بسبب شعوره الزائد بالسعادة.

في أوقات الغداء والعشاء كان ينظر إلينا، وكنتُ أشعر بالنفور منه وألقي إليه قطعًا من اللحم، فيتلقفها ساخنة. كان مزاجنا متقاربًا فقد كان يُقبل على القطع الدسمة، وكانت له نظرة باسمة للغاية. أخال أنه على وشك الانفجار في الضحك. كان يحب اللب والفول السوداني، وكنت أمزح وأقول لزوجتي إنه "ابن قرد بالتأكيد". كانت دائمة الحديث عن عمره وتقول لي إن عامًا بالنسبة إلى الكلاب يساوي ثمانية أعوام بالنسبة إلينا، وكان هذا مدهشًا بالنسبة إليَّ، وقد لاحظتُ أن حركته بعد عام فعلاً صارت أكثر قوة، أصبح ببساطة متناهية يقفز بين الأماكن التي لم يكن يستطيع أن يقفز بينها من قبل.. كان ينتظر أي هفوة مني، فحينما أكون مستلقيًا وأُحَدث أحد الأصدقاء في الموبايل، كان يقفز بسرعة خاطفة، ثم يسدد لسانه إلى أذني. لعقة سريعة تجعله أكثر ابتهاجًا وامتنانًا للعائلة التي صار واحدًا من أفرادها، بينما أُغلقُ الموبايل في وجه من أحدثه وأجري وراءه، بدون فائدة، إذ أنه يقبع في نهاية سرير غرفة النوم، وهو يعلم تمامًا أنني شديد الغضب الآن.

fb/mashro3pdf

لم يكن ينسى، ومع هذا كان على استعداد لتكرار فعلته عشرات المرات، وكنت أصطاده أحيانًا وأصفعه كأنما أصفع شخصًا، وكانت زوجتي توبخني، مؤكدة أنه لا يفهم، وأُصرُّ على أنها هي من لا يفهم، وأنه يعرف تمامًا ما يفعله. في البداية كان إقناعه بالدخول إلى الشرفة حيث بيته أمرًا شاقًا، فقد كان يختفي في أبعد ركن نستطيع الوصول إليه، وكنا نستخدم أيدي المقشات والمسَّاحات لتحريكه، وأحيانًا كان يستغل ضغط الهواء واجتياحه ستارة الشرفة وبالتالي الباب الذي كان يقف بجواره مستمعًا إلى حركاته المتتالية حتى يفتح وحده، ونجده فوقنا. يجن جنونه حينما أُقبِّل زوجتي. يطير فوقنا، وحينما أنهض من مكاني يعدو إلى مكان بعيد، وكنا أحيانًا نحول الأمر إلى لعبة، أُمثل أنني أُقبِّلها فيأتي بسرعة خاطفة، فأحتضنه وأجري به إلى الشرفة ثم أُحكم إغلاقها. لقد صار بمقدوري نفسيًا أن ألمسه، أُربت عليه، وأمسح على شعره أحيانًا. صار بيننا رابط ما، وحينما أعود إلى المنزل كنت أسمع نباحه. رنة التليفون التي خصصتها لي زوجتي كانت تعني أنني من سيطرق الباب بعد لحظات. يظل يتقافز بجنون على ساقي محاولاً الوصول إلى أبعد نقطة مني، وكنتُ أبحث دائمًا عن كرته المضيئة وألقيها بعيدًا فيجري ناحيتها ثم يختبئ بها في مكان ما. فشلتُ تمامًا في تعليمه كيف يعود بها، لأنه يتعامل معها باعتبارها ملكية خاصة، وحينما أخبئها أسفل بطانية يأتي إليها بسرعة خاطفة رغم أنه لم يرني. كانت مساراتها تصنع خطوطًا من الرائحة تصله بها.

في إحدى المرات أخطأتُ وأنا ألقي الكرة المضيئة فاستقرت على طرف طاولة دائرية قصيرة تستند إلى عمود وحيد، وكان يعلم بالتأكيد

fb/mashro3pdf

أنه لو قفز فوقها فستنهار به، لم يساعده العمود في شيء لأنه كان يستقر في منتصف الدائرة من أسفل، وبالتالي لم يكن هناك شيء يستند إليه، كانت الطاولة قريبة من كنبة ولكنه أيضًا لم يتخذ قرارًا بالقفز فوقها. كان يتوقف فوق الكنبة ويُطلق صوتًا غريبًا، ويمد ساقيه الأماميتين باتجاه الطاولة دون أن يجرؤ على لمسها، ثم يهبط إلى الأرض موزعًا نظراته بيني وبين الطاولة مُطلقًا ذلك الصوت، وكان هذا يعني أنني استطعت حبسه في تلك الفكرة فأتابع ما أفعله لأنه يتوقف عن إطلاق الصوت ويستمر في مطاردة حلمه بإسقاط الكرة قافزًا من الكنبة إلى الأرض وبالعكس، ولكن زوجتي التي فطنت إلى اللعبة تمسك بالكرة وتلقيها بعيدًا فيبدأ بالعدو باتجاهها، وأنا أبدأ الأمر من جديد بعد اختفاء زوجتي، أحضر الكرة وأضعها في نفس النقطة على الطاولة بالضبط. أحيانًا كنت أفتح "يوتيوب" على الموبايل، وحينما يسمع أصوات الكلاب يبدأ بالنباح ويتراجع خطوات إلى الخلف ناظرًا إلى الموبايل من بعيد، وكنتُ أفكر في أن الشعور الذي يتقاسمه الآن هو الخوف الشديد من الموبايل والرغبة في عضه، ولكن الشعور الأول ينتصر بكل تأكيد لأنه لم يقترب مطلقًا منه، كما كان أحيانًا يُطلق نباحه باتجاه التلفزيون وأفاجأ في تلك اللحظة بكلب يجري في خلفية الصورة. حينما كانت زوجتي تغيب في عملها وأخرجه من الشرفة كان يصيبني بالقلق بسبب إحساسه البالغ بالأصوات، وقد كنت أفكر كثيرًا في أنني تخلصت من الهلع الذي يصيبني أثناء الوحدة، وخاصة ما يتعلق بالأصوات القادمة من البعيد، كان يقف فجأة- على سبيل المثال-

fb/mashro3pdf

مُحدقًا إلى الطرقة المظلمة رافعًا ذيله ومُطلقًا نُباحًا عنيفًا، أو كان يجري باتجاه باب الشقة مُطلقًا ذلك النباح، ولكنني بمرور الوقت تعلمتُ أنه يشعر بأقدام من يصعدون السلم، زوجتي أو عمال توصيل الطلبات أو الجيران، ولو فتحت الباب فإنه يقفز باتجاههم، كان معظمهم يشعر بالذعر ويجري، ويبدو أن الجيران على وجه التحديد كانوا يعملون حسابه لأنهم اختفوا تمامًا ولم ألحظ وجودهم منذ شهور. ربما كانوا ينظرون في العين السحرية قبل أن يخرجوا من المنزل، وربما كانوا يتصلون مثلي بالموجودين في شقتهم ليتركوا الباب مفتوحًا كما أفعل مع زوجتي في أثناء صعودي إلى الشقة. أصبح هذا الكلب يعني شيئًا بالنسبة إليّ، لا أستطيع الجلوس أو النوم إلاّ لو عبثت معه قليلاً، أنتظر اللحظة التي يبدأ خلالها في مطاردة ذيله. يستمر في الدوران حول نفسه عددًا مهولاً من المرات محاولاً أن يمسك بأبعد نقطة من ذيله ويفشل، وكنتُ أشعر بدهشة حقيقية من قدرته على المواصلة وأفكر كيف لا يشعر بالتعب، وخاصة مع الشعور بالدوار الذي يتسرب إليّ رغم أنني لم أفعل شيئًا سوى المشاهدة.

في معظم الأحيان أدخن سيجارة بعد العشاء وأنا نصف مستلق على كنبة مواجهة للتلفزيون. كان يقف على الأرض، ونبهتني زوجتي إلى أنه صار يدخن معي. كان يدفع بلسانه في الهواء جامعًا ما يستطيع من الدخان دافعًا إيّاه إلى جوفه، وكان أحيانًا يغلق عينيه كأنه يحبس الأنفاس، وبمرور الوقت صار هذا طقسًا عاديًا. نأكل، ونشرب، ثم يأتي إليّ مع إشعالي السيجارة، ويدفع ساقيه الأماميتين إلى كنبتي فيبدو

fb/mashro3pdf

رجلاً قصيرًا، وأركز من ناحيتي في دفع كل الدخان إليه، وكان هو يمشط الهواء بلسانه محاولاً ألاَّ يفلت منه أي خيط دخان!

كلبنا يحب المياه جدًّا، يجري إلى البانيو ويستسلم للدُش، ثم تلفه زوجتي في "فوطة" كبيرة، وبعد تجفيفه تُمشط شعره، ويجلس مستكينًا لدقائق قبل أن يبدأ في ممارسة متعته بالجري في جميع الاتجاهات، بعد أن عاود لونه الأبيض سيرته الأولى، وفي أيام الشتاء الصعبة كنا نُدخله إلى الشقة ونربط طوقه في أي كرسي، خوفًا على الأثاث، فإحدى متعه كانت عض المراتب وإفراغ حشواتها، وأيضًا عض الأحذية الجديدة وتحويلها إلى أحذية بالية، ولكنه فجأة بدا حزينًا، وأصابنا ذلك بالدهشة في البداية غير أن زوجتي توصلت إلى السبب، أنه لا يستطيع الحياة بعيدًا عن بيته في الشرفة، وفي كل المرات التي جربنا ذلك تأكدنا أنه يُصاب فعلاً بنوبة اكتئاب حادة، يرفض فيها تناول الطعام أو الشراب، كما يكف عن الحركة والقفز في أرجاء الشقة، وهكذا أُجبرنا على وضعه في الشرفة أيًّا كانت الظروف. قبل أن نخرج صباحًا تفتح له زوجتي الباب وتُنظف الشرفة، تُزيل بقايا طعامه القديمة، وفضلاته بصبر بالغ، ثم تضع له الطعام الجديد ومزيدًا من المياه، وعلى مدار عامين تقريبًا لم يحدث ما يشير إلى ما جرى في ذلك اليوم المشمس.

حينما عدت إلى المنزل، لم أنتبه إلى غيابه إلاَّ بعد فترة، وسألتها عنه، وفي هذه اللحظة انفجرتْ في البكاء. أخبرتني بأنه سقط من الدور الثالث حيث نسكن. في البداية أُصبت بالفزع، لكنها طمأنتني،

fb/mashro3pdf

وأخرجته. كان يرتجف كأنه محاط بالثلوج، حملتُه ووضعتُه فوق بطانية، وأمسكتُ طرفًا منها وغطيته جيدًا، فبدأ يستكين. لم يحدث شيء. لحسن الحظ- حسب رواية الجيران- أنه سقط بين أسياخ الحديد الموجودة في شرفة جارتنا بالدور الثاني. حاولت الجارة تخليصه بكل الطرق ولكنها فشلت. البواب وبعض العاملين في الجراج العمومي المواجه لنا انتبهوا، وتوقفوا بجوار الزرع بالأسفل وشكلوا بأيديهم وسادة، ثم دفعته الجارة حتى سقط بين أيديهم ومنها إلى الزرع فأصيب فقط ببعض الخدوش. عبرت سيدة في تلك اللحظة وقالت لهم إن هذا الكلب يخصها، لكنهم لم يعيروها اهتمامًا فوقفت لحظات وغادرت. كان ما تفكر فيه زوجتي أنه سيعاود الكرَّة لو عاد إلى الشرفة. لم تُصدق ما قاله البواب من أنه كان يراه لمدة ثلاثة أيام نائمًا على سور الشرفة مستمتعًا بالشمس، ويبدو أنه نام وحينما تحركت الستارة الثقيلة ألقته في الهواء. لم يكن يقصد القفز. كانت تؤمن بأنه يريد أن يرحل، ولهذا قررت تغيير مكان بيته ووضعته في الحمام الذي لا نستخدمه، ولكنها في صباح أول يوم على ذلك فوجئت برائحة سيئة جدًا. كان أول مرة يفعلها في بيته، أغرق البطاطين، وحينما أخرجته إلى الصالة بدأ كما لو أن فيروسًا أصابه لأنه كان يتعمد أن يفعلها في أي مكان، وأصيبت زوجتي بالجنون.

الطبيب جاء أخيرًا بعد كثير من الاعتذارات، تفحصه، وقال إنه مصاب بشرخ في ساقه، وكان هذا مدهشًا بالنسبة إلينا، لأنه لا يعرج، كما أنه شديد العصبية. يرى السماء والطيور ويعرف أن هناك عالَمًا آخر يريد أن يراه. كان نفس الطبيب الذي قال لنا منذ عامين إنه من

fb/mashro3pdf

الكلاب التي لا تغادر المنازل ولا ترغب في الفسحة. اصطحبه إلى عيادته، وفي اليوم التالي اتصل بنا وقال إنه كلب طيب جدًا وقد عاد إلى هدوئه. كان لدينا شعور بأن هناك شيئًا كبيرًا ناقصًا في المنزل. أعرف أن زوجتي تشعر بالحزن، ولكن لم أتخيل أبدًا أنني سأشعر كذلك بنفس الحزن. كلمات الطبيب في صباح جديد أصابتنا بالضيق. هناك عروس مناسبة للكلب في فيلا بالتجمع الخامس. سيدة الفيلا تشترط أن تحصل على الكلب لتزوجه من كلبتها. نحن لم نقصر في ذلك الأمر. ذهبنا به إلى منزل أصدقاء في "٦ أكتوبر" ولكن كلبتهم خافت جدًا منه. حماسته المفرطة أدت إلى عكس ما يرجوه. الكلبة انزوت في ركن بمنزل الأصدقاء وأحجمت عن الخروج تمامًا رغم كل المحاولات التي بُذلت معها، وهكذا عُدنا به كما جئنا.

بعد تفكير عميق اتخذت زوجتي القرار الصعب. كانت ترى أن الحياة في فيلا ذات حديقة يستطيع الجري فيها، حديقة لا مجال فيها للسقوط من أعلى أفضل له. ابتسمت أخيرًا وهي تنهي المحادثة مع الطبيب بعد أيام من الحزن المتواصل، وقالت لي إننا نستطيع زيارته كلما أردنا. بعد شهر تقريبًا حصلنا على العنوان من الطبيب الذي أكد لنا أن سيدة الفيلا بانتظارنا. فتح لنا خادم، وشاهدناه وشاهدَنا، في طرف الحديقة، وبجواره كلبة تشبهه تمامًا، وجرى ناحيتنا وتحركنا نحوه، وبدأ يتقافز حولنا بجنون للحظات، ثم جرى باتجاه عروسه، نظرا إلينا لحظة من بعيد، ثم غابا في بيت بجوار الأشجار.

fb/mashro3pdf

السهو والخطأ

صُوَرُنا في المرآة ليست متطابقة تمامًا. عندما نصافح الآخرين، على سبيل المثال، يبدو كما لو أن العالم انقلب، اليمين يصبح يسارًا، واليسار يمينًا، نحن في المرآة نُمثل أنفسنا، ولكن من زاوية مقلوبة. أفكر في هذا كلما جاءت تارا أخت زوجتي فيفيان لزيارتنا. حينما تقف تارا أمام فيفيان لتصافحها تبدوان كما لو أن إحداهما أمام مرآة، ولكنها حين تحتضنها يبدو كما لو أن هناك خللاً ما في الصورة. نفس الشعر البني، والتصفيفة القصيرة، نفس العيون الزرقاء، والطول المتوسط، والجسد الرشيق. ليس هنالك حاجب أكثر كثافة من حاجب، ليست هنالك ندبة مميزة، أو شامة في المناطق المكشوفة، أو جرام واحد زائد في أي مكان يمكن أن يُنبئ عن فارق بينهما. الصوت أيضًا واحد، في بعض الأوقات أستطيع تمييزه قليلاً وبصعوبة، الضحكة واحدة، كأن إحداهن مستنسخة من أخرى. حينما تقدمتُ لخطبة فيفيان شعُرت بالصدمة. كانت تحكي عن توأمها المتطابق كثيرًا، ولكنني لم أتخيل أن يصل التشابه إلى ذلك الحد. حتى في مزاجهما، كانتا ميالتين إلى الهدوء. لديهما رابط

fb/mashro3pdf

مقدس، تنجزان أعمالهما حتى تقضيا عطلة نهاية الأسبوع معًا. كانتا تكرهان الخروج كثيرًا، وتُفضلان البقاء في المنزل، ووجد هذا صدًى في نفسي، فقد كنت ميالاً بدوري للبيت، وأعتبر يوميَ العطلة فرصة للتخفف قليلاً من الصور التي تعلق في جسدي خلال أيام العمل.

رحل أبوهما، وتبعته أمهما. وهكذا قررنا أن نفتح الشقتين المتقابلتين على بعضهما. تارا قررت أن تكتفي بالعائد من وديعتها في البنك للصرف على نفسها، كما قررت أنها لن تتزوج أبدًا. كان كثيرون يأتون إلينا لخطبتها، ولكنها لم تكن تُكلف نفسها حتى عناء مقابلتهم، ومرور الوقت تسرب إليَّ شعور بأنها صارت جزءًا من حياتي. في السابق كنت متحمسًا لإقناعها بأنها لا بد أن تقابل هؤلاء الأشخاص فربما تجد من يُقنعها، ولكنها كانت تقول دائمًا إنها تكره الارتباط، وتذكر أمورًا كثيرًا عن القيود والعبودية وما إلى ذلك، ومرور الوقت قَلَّت حماستي لهؤلاء الشبان المكتنزين أبناء الطبقة المتوسطة الذين يطرقون بابنا أو ينتظرونني في الشارع أو يأتون إليَّ في مكان العمل، ومن فرط تكرار الجملة التي أنهي بها الحوارات معهم صرت أنطقها بدون أن أفكر "تارا مرتبطة بأحد أقربائنا في أمريكا، وسيأتي قريبًا لاصطحابها إلى هناك". كانت فيفيان تتسلل أحيانًا من السرير وتذهب إلى غرفة تارا، ولا تعود إلاَّ في الصباح، ومع تكرار الأمر صرت أقف أمام غرفة تارا وأحاول أن ألتقط أي صوت، ولكن كان الصمت يلفني كأن هناك من قام بطلائي بمادة عازلة للصوت. في الأغلب كانتا نائمتين. أقول لنفسي محاولاً طرد الهواجس التي تنتابني بين الحين والآخر.

fb/mashro3pdf

ذات مرة وبدون مناسبة أحضرتُ تمثالاً من محل أنتيكات بوسط البلد لفيفيان، وحينما فتحت باب الشقة وجدتهما تقفان أمامي، ترتديان قميصي نوم متطابقين، يُظهر جزءًا من صدريهما، وأيضًا يسرح مع وقفتهما المتمايلة إلى ما فوق ركبتيهما. كانتا تبتسمان، وتتطلعان إليَّ، وفهمتُ اللعبة فورًا. كانتا تختبران قوة ملاحظتي، وأنا استهوتني اللعبة، فألقيت التمثال على أقرب كرسي، وبدأت أدور حولهما. أثناء توقفي للحظات خلفهما كنت أتطلع إلى مؤخرتيهما الجميلتين، وأشعر أنني محظوظ جدًا بأنني أمتلك نسختين من المرأة التي أحبها. كانت الرغبة تتطاير مني كما تتطاير مئات الشرارات من مجموعة أحطاب مشتعلة، لدرجة أنني خفت أن تمسك بقميصيّ النوم. كنت أريد تقبيل إحداهما في عنقها كما يروق لفيفيان، ولكنني كنت أخشى من ردة فعلهما. فيفيان لم تنتبه أبدًا لنظراتي التي تتفحص جسد تارا في جلسات السهر التي كانت تجمعنا في البلكونة صيفًا وفي الصالة شتاءً، أو كانت تنتبه ولا تلقي بالاً لها، ولكن تارا على وجه التحديد كانت تقبض على نظراتي بالضبط عند مُقَدَّم نهديها، أو في ثنيات أثوابها بعد الخصر، كانت تقبض عليها وتثبتها، ولكن لا يمكن أبدًا بدون نصف زجاجة ويسكي على الأقل أن أُقبل على هذا التصرف. وأخيرًا قررت أن أطبع قبلة على خد الصورة اليمني، بالقرب من الفم، فارتعشت قليلاً، بينما ضحكت الثانية هاتفة: خطأ.. أنا فيفيان!

وضعتُ يدي على شفتي، وربما كانتا تتخيلان أنني محرج، لأنهما كانتا تضحكان وتشيران إليَّ، كان الضحك يسيطر عليهما، وكانتا

fb/mashro3pdf

تتعكزان على بعضهما، وهما تقتربان مني، بينما كنت أتلمس طعم القبلة، وأقبض عليها كأنني أخشى تطايرها. احتضنتاني من الجانبين، وكنتُ أشعر في تلك اللحظة كما لو أنني محاط بجنة أثداء، وكنتُ أخشى من انتصاب سيكون مفضوحًا خصوصًا مع سقوط الضوء علينا من أباجورتي هالوجين متماثلتين ومتقابلتين في الصالة.

أمسكت فيفيان التمثال، ثم قالت ضاحكة إنها لا تقبل هدية إلاَّ لو أحضرت مثلها لتارا، وهكذا على مدار الشهور المقبلة ستمتلئ الشقة بعدد هائل من الأزواج المتماثلة لتماثيل، وفازات، وكتب، وفساتين، وعطور. حتى تلك اللوحة التي أحبها لمار مرقس وهو يقتل الوحش صار لدينا منها اثنتان، إحداهما في مقدمة صالتي، أنا وفيفيان، والأخرى في امتدادها الذي كانت تمثله شقة تارا. أحضرتُ تلك اللوحة حتى يمكنني رؤيتها لو قررنا أن نجلس في الركن الأقصى البعيد الذي أحاول أن أتفهم أنه صار جزءًا من حياتنا. فيفيان كانت صيدلانية. صيدليتها أسفل العمارة بالضبط، وكانت تارا تنزل معها أحيانًا، وتعلمت بمرور الوقت أسماء الأدوية وأماكنها، وكان الزبائن يصابون بشيء من الدهشة حينما يشاهدونهما تقفان متجاورتين. إحدى العجائز قالت إنها كانت تظن أنهما شخص واحد، وإن هناك مرآة تفصلهما، كما أخبرتني فيفيان.

كانت الرغبة تسيطر عليَّ ليلاً. أريد أن أنهض لأطرق باب تارا، وتفتح لي وتستقبلني عارية تمامًا، لا ننتظر حتى نصل إلى السرير،

fb/mashro3pdf

ونتداخل بكل هذا الاشتياق الطويل الذي أعرفه في نفسي وأراه في عينيها، نصطدم بدولابها، وربما بكرسي الفوتيه، أو نُسقط أدوات زينتها، ولا نشعر بأنفسنا، حتى لو جاءت فيفيان، يمكنها أن تتداخل معنا، لنصير ثلاثة في جسد واحد، ولكن فيفيان التي أشعر أنها تخترق عقلي وتقرأ أفكاري تنهض دون حتى أن تنظر إليَّ لتكتشف إن كنت نائمًا أم لا، وتغادر، وأظل أتقلب. أحيانًا كنتُ أغادر خلفها، وأتنصت إلى الأصوات التي يمكن أن تصدر من غرفة تارا، وأحيانًا كنت أسترسل في الأفكار إلى ما لا نهاية لأستيقظ على يد فيفيان التي تضعها على خدي، بينما تقف تارا خلفها، وهي تصيح: "استيقظ يا كسلان". لم يكن التمارض حجة مفيدة لأن الاثنتين تغادران معًا وتعودان معًا.

في تلك الليلة أيضًا عادتا للعب مجددًا، كانتا ترتديان بلوزتين وتنورتين قصيرتين، وأعطتني إحداهما ورقة بها جملة واحدة "لا تَقُل رأيك قبل أن نسكر". كانتا تتمايلان أمامي وهما تحضران الأكواب وزجاجة الويسكي، بينما قررتُ لف مجموعة من سجائر الحشيش، كنتُ أتحدث بمفردي في كل شيء وكانتا تضحكان فقط، وحاولتُ جاهدًا تمييز صوت تارا على وجه التحديد، كنتُ أشعر بأنني أريد تركيز نظري إليها فقط، ولكن في كل مرة أمسك بخيط كان يرتد إليَّ كـ"أستك" ويلسعني في وجهي، كنتُ أشعر بأنهما تستخدمانني، كأنهما تشحذان طاقتهما لسهرة تخصهما، كانتا تضحكان بقوة وتتحركان كثيرًا فوق كرسيهما، كنتُ أحاول رؤية ملابسهما الداخلية، كأنني سأستطيع من خلالها تحديد هويتهما، وخُيل إليَّ بعد فترة أنهما لا ترتديان شيئًا.

fb/mashro3pdf

ماذا تنتظران لتبدآ حفلة جماعية محمومة. شغلتُ الموسيقى وبدأتُ الرقص فبدأتا في التمايل حولي والاحتكاك بي، إحداهما قالت لي فجأة "لا تتحرك"، ثم همست في أذن الأخرى. بدأتا تستخدمانني كعمود الاستربتيز، راقت لي الفكرة وبدأتُ في تسمير نفسي، ولكنهما كانت قويتين لدرجة أنني انهرت فجأة وتكومت على الأرض، وغرقنا في موجات متلاحقة من الضحك. في اليوم التالي استيقظت على صداع مؤلم، كأن هناك من يطرق على رأسي وبعد لحظات تأكدتُ أن الطرق كان على الباب، إحداهما كانت تقف في مواجهتي الآن. قالت لي إنها فيفيان، وإن تارا ذهبت إلى البنك، قفزتُ من السرير قفزًا، وانتبهتُ إلى أنني لا أرتدي شيئًا. اتجهتُ إلى الصالة وهي في إثري. صببت لنفسي كأسًا، فقالت مندهشة: "على الصبح؟!".

الآن أشعر أنها لعبة جديدة منهما. ربما تكون هذه تارا وتحاول إقناعي بأنها فيفيان. إذا كانت فيفيان لماذا لم تضع يدها على خدي، لماذا كانت تطرق الباب على هذا النحو؟! أيضًا لو أنهما اتفقتا كان يمكن لتارا أن تنام بجواري، ليست لديهما مشكلة أبدًا طالما أن الحدود مرسومة ولو من بعيد، ماذا أقول؟! الصداع كان يعميني عن التفكير بهدوء. الأفكار كانت بطيئة وغريبة ومشوشة كأنها هي الأخرى تعاني من "الهانج أوفر". صببت لها كأسًا، ولكنها رفضت بهزة خافتة من رأسها لا تخلو من ابتسامة. بعد قليل مددتُ يدي بسيجارة حشيش فأخذتها. سألتها إن كانت ستفتح الصيدلية اليوم فهزت رأسها نافية، حرصها على عدم الكلام كان يؤكد لي الهاجس الذي يكبر بداخلي.

fb/mashro3pdf

هذه ليست فيفيان، كان من الجيد أنهما اختارتا شخصية فيفيان لا تارا، وكان من الجيد أيضًا إقبالها على السجائر الواحدة تلو الأخرى، اقتربتُ منها وبدأتُ اللعب بشعرها، وكان جسدها يزداد ثقلاً، باتجاهي، كأنني صرت مركز الجاذبية. ثم بدأت يدي تسرح في صدرها، لم تكن تقاوم، وكان هذا مدهشًا ومثيرًا بالنسبة إليَّ. فكرة أنها تارا أزالت كل الصداع دفعة واحدة، أعرف أنني نحيته جانبًا ليراقب ثم يعود لمهاجمتي في وقت لاحق، لا مشكلة، وحينما نظرت في عينيها كانتا دامعتين ولكنهما تنطقان بالرغبة، أمسكتُ بنهديها، كأنني أكور عجينتين قبل تشكيلهما، ثم صدمتني تلك الشامة بينهما. لم ألحظها سابقًا.. لا.. هذه ليست لفيفيان. إنها تارا. ربما لفيفيان ولكنني لم ألحظها سابقًا لأنها تميل إلى إغلاق الإضاءة في كل المرات التي نمارس فيها الجنس. لماذا تفعلان بي هذا، ولماذا لا تعترفان لنفسيهما بأنهما تحبانني بهذا القدر؟! أقصد لماذا لا تعترفان أمامي؟! بالتأكيد يتحدثان عني، وهل وصلت درجة حبهما لبعضهما البعض إلى حد اقتسامي بينهما؟! كان هنالك شيء جديد يحدث أمامي، حركة جسدها كانت مختلفة، تأوهاتها كانت مختلفة أيضًا، ولكن ماذا لو كانت فيفيان تمثل أنها تارا. صرت فريسة للأفكار، ولكنها أوقفت تلك الأفكار بنهوضها فجأة، وهي تنظر إليَّ بدهشة شديدة، قبل أن تنفجر في الضحك: "مالك يا مجنون؟!". قفزتُ باتجاهها مرة أخرى، قبل أن يقفز الصداع باتجاهي. فيفيان، تارا.. تارا، فيفيان، فيفيان.. تارا.. ربما يكون هناك نوع من الخطأ، ولكن تلك اللحظة لم تكن بحاجة إلى خطأ، كان السهو فقط يكفي، والرغبة وحدها تكفي،

fb/mashro3pdf

والرغبة أكبر من الاثنين معًا. كانت الأفكار تتحرك ولكنها لم تعق جسدي أبدًا عن العمل، ولا نظراتي إلى الشامة التي كانت تكبر وتحاول التهامي!

الاخر مقسوماا على اثنين

fb/mashro3pdf

تمرين على رفع اليد

أشعر بأن يدي صدئة، لم أكتب منذ فترة، اعتدتُ تدوين ما أمرُّ به يوميًّا لفترات طويلة، غير أن تلك العادة انقطعت منذ سنتين تقريبًا بمجرد سكني في "٦ أكتوبر"، كنت أتوقع أن يساعدني ذلك على الكتابة بانتظام. قال أصدقاء إنني سأكون كاتبًا جيدًا لو ركزت، أحدهم، على وجه التحديد، قال لي إنه صديق لكاتب كبير يمكنه أن يعرِّفني إليه لأقرأ له ما أكتبه، غير أن حياتي المستقرة، الخالية من الأحداث جعلت عقلي خاويًا، ولم تكن هناك فائدة تُرجى من محاولة استرجاع مشاهد سابقة من حياتي، حياة خاوية تعني صفحات بيضاء، حتى ذلك العمل في شركة للشحن الدولي لم يكن يساعدني. لا فائدة تُرجى من إيميلات تأتينا من مناطق مختلفة في العالم تسأل عن موعد تسليم، كلهم يمتلكون نفس اللغة الجافة، والاختزال المبالغ فيه.

قررت مرة لكسر الملل أن أرسل لأندريه، في فرنسا، أسألها عن عدد ساعات عملها، وإن كانت تجد متعة ما فيه، وهل تتفاعل مع زملائها،

fb/mashro3pdf

وشعرت بسعادة كبيرة حينما وصلني الرد بعد أقل من نصف الساعة، ولكن المفاجأة في قول أندريه إن "أندريه رجل لا فتاة"، وهذه القصة هي ما دفعني مجددًا إلى الكتابة، صحيح أن المفارقة تبدو أقرب إلى "الإفيه" لكنها صالحة على أي حال للتدوين. كتبتها في ثلاثة أسطر، بدت في تلك الصفحة البيضاء على شاشة الكمبيوتر مثل ثلاث شعرات مصففة جيدًا في رأس أصلع، فكرت في أنني أحتاج إلى عمل مُنهِك مثل عملي في الماضي، وزوجة تشكو من غيابي المتواصل عن المنزل، إذ إنني أفضل صحبة الأصدقاء فيما تبقى لي من وقت في اليوم، وحينما أعود أتجاهلها، إذ إنني، أيضًا، لا أستطيع أن أخلع هذا العمل من جسدي على الباب، لا أستطيع أن أعلقه على شماعة، يلتصق بي رغم أنني قضيت وقتًا ممتعًا في الخارج، ذلك العمل يعيش في رأسي، لا يغادره أبدًا، حتى ولو بمشاهدة فيلم أو بتناول عشاء محبب، أو بالجلوس إلى الأصدقاء، ولكن في حياتي الجديدة أصبحت محاصرًا بأزرار الكيبورد، وبالصوت الصادر من الموبايل يخبرني بموعد وصول الإيميل الجديد، قبل أن يصل بثوان إلى الPC، مديري لا يقابلني إلاَّ لأمرٍ كبير، وفي شركتنا لا تحدث أمور كبيرة، كل شيء محسوب بعناية وبدقة، والموظفون، وهم ثلاثة، شابان وفتاة، لا يتحدثون تقريبًا، ليس لأنهم يكرهون هذا، ولكن لأن المدير حبس كلاً منا في غرفة بمفرده، وهو يراقبنا بالكاميرات، وفي المرات التي يحاول أحدنا أن يتحدث إلى الآخر كان يظهر فجأة ليقول جملة مقتضبة عن "تضييع الوقت".

المدير أيضًا حجب عنا كل المواقع تقريبًا، بما فيها مواقع التواصل الاجتماعي، ولا أعرف إن كان زملائي يدخلون إليها من هواتفهم أم

fb/mashro3pdf

لا، وهل يمكن أن يكون المدير قد رآهم ولفت نظرهم أم لا، بالنسبة إليَّ أكره مواقع التواصل الاجتماعي، وأيضًا لا أحب قراءة الكثير في المواقع الإخبارية، وحتى لو فعلت فخلال دقائق قليلة أكون مُلمًا بما يجري حولي، ولا أكون في حاجة إلى مطالعة المزيد، الأخبار عمومًا تصيبني بالأرق، وتُشوش تفكيري، قراءة الكثير من الأخبار أضعفت لغتي، أنا أقول لنفسي دائمًا إن القراءة يجب أن تكون مُوجَّهة، قرأتُ لمعظم الكتاب الكبار، روايات ودواوين، مترجمة، وفي لغاتها، وبالمناسبة أنا أجيد ثلاث لغات، الإنجليزية، والإسبانية، والبرتغالية، لو أنني قرأت لكاتب رديء فإن تأثيره يكون قويًا بالضبط مثل الكاتب الجيد، ولكن بالطبع.. كلٌ في اتجاه. لا أعرف إن كان ما توصلت إليه، وأنا أقترب من عامي الأربعين جيدًا أم لا، ولكن لديَّ قناعة بأنني أفكر بصواب، غير أنني بطيء جدًا في اتخاذ القرار، ومهمل، بدليل أنني لا أكتب منذ عامين كاملين، وأنني رغم القصص الكثيرة التي كتبتها لم أفكر مرة في عرضها على كاتب، أو إرسالها إلى موقع يهتم بنشر الأعمال الأدبية. جربت مسألة تأثير الكتَّاب في كثير من المرات، وتوصلتُ إلى قناعة أنه مهما كان حبك للقراءة عليك ألاَّ تكمل كتابًا كرهته من صفحاته الأولى، هناك كُتاب قادرون على إصابة أناملك بالتحجر، فتبدو تلك الأنامل التي كانت تعزف على الكيبوورد عبئًا عليك، لا تستطيع أن تتحكم بها، ويبدو ذلك التناغم بينها وبين العقل مفقودًا، كأن أحدهما أصابه الفيروس، لا تعرف إن كنت تفكر بشكل صحيح أم لا، تلك الضربات على الأزرار لا تترك أمام عينيك سوى

fb/mashro3pdf

كلمات خالية من المعاني، أحجار مرصوصة بجوار بعضها. تمسح وتكتب مرات، ثم تنتصر للمسح، وتغلق الصفحة، كما تغلق ضميرك بالضبط، مستريحًا للبعد عن الكتابة.

مسموح لنا بأشياء كثيرة في شركتنا: أن نلقي تحية الصباح، أن نغازل زميلتنا بالإيميل، لكن للأسف هذه الزميلة مشغولة بشخص ما، اكتشفت ذلك في إحدى الدقائق القليلة التي تحدثت إليها، قالت لي إنها على علاقة بشاب يعيش في "التجمع الخامس"، وقلت لها مازحًا: "يمكنكما تسمية طفلكما الأول اسمًا مركبًا!"، وسألتني بجدية: "أنا لا أفكر حاليًا في الزواج، ولكن في جميع الحالات ماذا نسميه؟!"، فقلت لها: "مدينة جديدة!"، كانت نكتة سمجة، ابتسمتْ لحسن الحظ لترفع عني الحرج، ولكنها قررت، بعدها، كنوع من العقاب، الاكتفاء بتحية الصباح، هذا إذا تقابلنا في المدخل، أو في الممر بين المكاتب، كما امتنعت عن الرد على اتصالاتي، كنا نتبادل قليلاً من الكلمات، وكنتُ حريصًا على عدم حرق مراحل، ولكن المراحل احترقت جميعًا في لحظة، فكرتُ في التودد إلى مديري، كنوع من كسر الملل، وربما في المستقبل أستطيع إقناعه بأن ضغط العمل ليس كبيرًا، وأننا نستطيع أن نتحرك بحرية أكثر من هذا، لا يهم أن أدوِّن هذا هنا، لو قررت أن يشاهد أحد ما أكتبه ربما أفكر وقتها في حذف هذه الكلمات، ولكن أريد في الوقت الحالي أن أسترسل، وأنا لا أستطيع الاسترسال بدون أن أشعر، ولا أستطيع الشعور بدون أن أكتب كل حرف أفكر فيه، صحيح أنني أتوقف لحظات أحيانًا لأحذف شيئًا ولكن لو توقفت بسبب

fb/mashro3pdf

الحسابات فالمؤكد أن أشياء سيئة ستحدث، وهكذا قررت أن أمارس "النفاق"، ولكنها كانت مهمة شاقة، فما الذي يمكن أن يطلبه المدير؟ اكتشفتُ أنني لا أعرف شيئًا عنه تقريبًا، سوى أنه في الثامنة والأربعين، وأنه يعاني من ضعف الإبصار، ويرتدي نظارة أنيقة تناسب ملامحه، وأنه يميل إلى ارتداء البدل، ويُفضل الأزرق. ما هذا البؤس؟ ما مدخله؟ هو يرفض تقريبًا أن يقضي أحدنا خمس دقائق إضافية فوق وقته المحدد، يقول إنه لا يحتاج إلى شهداء في هذا المكان.

في معظم الأيام التالية على قراري بـ"النفاق" كنتُ أدخل إلى مكتبه بانتظام، مرة على الأقل في اليوم، كان هو من يأتي إلى مكاتبنا لإلقاء التحية، بنفس نبرته اليومية، لا أملُ مُطلقًا من عدم رؤيته، نحن الأربعة نعمل بدون ساعٍ أو عامل بوفيه، ممنوع دخول أكثر من شخص واحد إلى البوفيه، لو وجدت زميلك هناك عليك بالعودة مسرعًا، لو تلكأت ستجده ملتصقًا بمؤخرتك، جميعنا بمن فينا المدير لا نعمل يومي الجمعة والسبت، لم أره مريضًا أبدًا، كأنما اتفق مع القدر في حال قرر إصابته بالمرض أن يكون ذلك خلال العطلة، على ألاَّ تتجاوز مدة تعافيه اليومين، أحيانًا في أيام الآحاد كنتُ أشعر بشبح توعك من بعيد يبدو على ملامحه، ولكنه كان يلوذ بمكتبه. أُلقي عليه التحية، فيهز رأسه، بابتسامة، أسأله إن كان يحتاج أمرًا خاصًا، فيقول لي "لا أمور خاصة، شكرًا"، ثم يعود للنظر إلى جهازه، وحينما أتلكأ ينظر إليَّ، دون أن ينطق، نظرة خبيرة، ولكنها غير مُرحِّبة بالمرة، لم يفكر رغم أنني واصلت ما أفعله لأكثر من الشهر أن يسألني مثلاً: "هل هناك شيء

fb/mashro3pdf

آخر؟!"، فكرت في أن أقرأ جيدًا في الاقتصاد، لأناقشه، أن أكون خبيرًا في القمح، نسيتُ أن أخبركم أننا نتعامل في شحن القمح، ولكنَّ شخصًا بذكائي يعلم تمامًا أنه يمكنك أن تتعامل مع الصرف الصحي بدون أن تضطر إلى نزح "الطرنشات" بيديك، هناك من ينوبون عنك في هذا.

وكنوع من النكاية في المدير قررتُ أن أبدأ تدوين بعض قصصي على جهازي، قررتُ أن أضيِّع جزءًا لا بأس به من الوقت في هذا، وأنا أعلم تمامًا أنه يراقب أجهزتنا، يستطيع من خلال برنامج معين أن يرى ما نتصفحه على قلَّته، وقررتُ أن أكتب قصة بعنوان "أسباب لكراهية المدير"، كانت مباشرة، وانتقامية، ولكنها جيدة بمعايير الجودة التي قررتها وفق خبرتي وقراءاتي، قرأتُ مرة حوارًا لكاتب يقول إن الانتقام يُخرجُ الأدبَ عن مساره، ولكن هذا غير صحيح بالنسبة إليَّ، فأنت تستطيع أن تسيطر على كل المشاعر السلبية وتضعها في قالبك المصنوع، المشاعر عمومًا هي الطاقة أو المادة التي تشحنها أو تصبها في ذلك القالب، كنتُ متأكدًا أنه يقرأ القصة بصوتٍ عال، وكنت أستمتع بعدم القفز من صفحة إلى أخرى لأمنحه مزيدًا من الوقت في قراءتها، وأتخيل وجهه عمومًا وهو يقرأ فقرات بعينها خاصة عن أدق تفاصيل حياته الجنسية المتخيلة. بالتأكيد لم أكن سأشعر بالخوف حينما تصلني منه رسالة على الإيميل، هذا هو العادي، وما يجري يوميًّا، لو أراد مواجهتي لَفَعل، لو أراد فصلي لن يعوقه شيء، ولكن إحدى الرسائل كانت تحمل مفاجأة، على هيئة لينك، ترددتُ في الضغط عليه، ماذا سيحدث؟ لن يسرق

fb/mashro3pdf

شيئًا، كل "أكاونتاتي" الخاصة ليست مفتوحة هنا، كما أن اللينك سليم كما يظهر من بداياته، وجدت إعلانًا لمطعم يُقدم خدمة فريدة، خدمة "عدم الاستجابة"، يُخيل إليَّ أنني قرأت شيئًا شبيهًا قبل ذلك، لا يهم، المدهش أن المطعم يقع بالقرب من مكتبنا كما يشير العنوان، تذهب هناك إذن لتجرب شيئًا فريدًا من نوعه، أن تطلب والعاملون لا يستجيبون لك، قرأتُ بعض العبارات المدونة في الإعلان بصوت عال: "هنا نتيح لك إذا كنت من هواة الأوامر ألاَّ يطيعك أحد"، "تستطيع أن ترفع يدك إلى اليوم التالي ولن يستجيب لك أحد"، "إذا كنت تعاني من الزحام في حياتك وتحتاج إلى الوحدة تعال إلينا فورًا"، فقط ولا مزيد من المعلومات، لا أسعار، لا صور، لا شيء أكثر من هذا.

كانت هذه فرصة عظيمة لأتحدث معه، لأقول له إنك من تعاني هذا، أنا أعاني من الوحدة أساسًا، وهو من يُلقي الأوامر، لماذا أرسَلَها إليَّ أصلاً، أحببتُ سيطرة المؤامرة على عقلي، فكرتُ في أنها ستجبرني في النهاية على المواجهة، ولكنه كان أكثر سرعة مني، فجأة وجدته على مدخل مكتبي يقول: "أرسلتُ إليك إيميلاً بالخطأ"، قلت له: "شيء عجيب جدًّا هذا الإعلان، هل جربت ذلك المطعم؟!"، لم يرد، فسألتُ مجددًا: "هل هي تجربة مختلفة فعلاً، أم أنَّ هذا الإعلان مجرد مزحة؟!"، فقال: "لو أردت التجربة اذهب إلى هناك" ثم تركني.

أخطو في الشارع متأملاً البنايات، كانت تبدو لي منذ سنوات كأعواد الكبريت، ولكنني اكتشفتُ أنها مُحببة جدًّا إليَّ، فما الذي

fb/mashro3pdf

تغيَّر، لم يقم سكان "٦ أكتوبر" بإعادة تصميمها، كانت خالية منهم، ولكن حيواتهم على ما يبدو أمدتها بالروح، أو فلنقل إن سبب تغيير نظرتي هو أنني صرتُ جزءًا من سكان المدينة، طالعتُ صور ممثلي المسرح الهزليين في "بانر" ضخم، ملامحهم ثابتة على تعبيرات معينة، تعبيرات متقاربة، تريد أن تنتزع الضحك من أفواه المارة، رغم أنه لا حركة ولا صوت في صور البعد الثنائي، أصدقكم القول أنا أكره هؤلاء الممثلين، وأتحاشى النظر إلى ملامحهم، ولكن عقلي، أثناء سرحاني، يعاقبني، ويجبرني على النظر سواء أكنت أترجَّل، أم في سيارتي، أنظر وأشعر بالضيق، ولكن في هذه المرة قررتُ أن أطيل النظر. لا مشكلة لو أقنعت نفسي بأنهم صاروا علامة على هذا المكان الذي أحبه، وهم بالتأكيد لن يقفزوا عليّ من علوهم ليُقدموا في مواجهتي عرضًا إجباريًّا. توقفت سيارة بجانبي، وأطَلَّ منها رأس حيوان بشارب كثيف، وسألني بصوت مزيج من صوت الحمار والضفدع عن أقرب "بنزينة"، وشعرتُ تحت وطأة ملامحه الغليظة أنني مُجبَر على الرد، وكنوع من مقاومة رعشة خوف غير مبررة تمامًا قررتُ عدم الرد، يمكنني أن أجرب فيه الآن ما أنا مُقبل عليه، لو كان صحيحًا، قلتُ بصوت خافت بينما أدير ظهري: "أهلاً بك في عالم عدم الاستجابة"، كنتُ أريد أن أرفع صوتي بالعبارة، وبعبارات أخرى عن مدينة الوحيدين، هنا لن تشعر بسعادتك إلاَّ لو اقتنعت بأن الوحدة هي السعادة، ولكنه أفسد كل شيء، خصوصًا ترتيب أفكاري، ولم يكن حريصًا على خفض صوته كما فعلت، فقد لاحقني بعباراته، وكانت

fb/mashro3pdf

الغلبة في المزيج للضفدع: "يا ابن الوسخة". سأقوم في الأغلب بحذف عبارته مع ما سأحذفه من قصة المدير. فكرتُ في العودة إلى سيارتي أمام مقر الشركة لأطارده، وعلى الأقل سأكسب قليلاً من الإثارة، سأطارده قليلاً، وسأقرر العودة، خوفًا على سيارتي- موديل العام- وأيضًا خوفًا من حوافره والقواطع والأنياب التي يخفيها أسفل شاربه، شاربه الذي يشبه كومة من القش. لاحت أضواء المطعم بعد عشر دقائق. كان ملاصقًا لبنزينة، وتلفتُ حولي باحثًا عن رأس الحيوان، ثم قرأت الحروف المضاءة بلون أحمر ."NOT RESPONDING" : من اللغة الإنجليزية يبدو أنهم يتوقعون روادًا من طبقة معينة، كان هناك كثير من السيارات، وهذا يعني أيضًا أن بعض هؤلاء الرواد من أحياء أبعد، أو ربما من القاهرة، أو محافظات أخرى، توقفت لحظات لأطالع لوحات السيارات، ولكنني كرهت الأمر بعد لحظات، وقررتُ أن أدفع إحدى مصراعي الباب الزجاجي. كان تصميم المكان من الداخل بديعًا، الأضواء موزعة بعناية، الطاولات صغيرة، وعلى مسافات تبدو متباعدة، كان كل شخص يجلس إلى طاولة، لا كراسي أخرى إلى جواره، وكان بعض الجرسونات يتحركون بنشاط، يرتدون زيًّا موحدًا وعلى وجوههم ابتسامة مُرحبة للغاية، اقترب مني أحدهم مُرحبًا، وقادني إلى طاولة بعيدة، ومنحني هذا أمتارًا وزعت خلالها نظراتي على الجالسين، معظمهم يرفع يده، ثم يعيدها مكررًا المحاولة، ينظر في أوراق أمامه، تبدو أقرب إلى "منيو"، ثم يرفع يده ولا أحد يجيب. بمجرد جلوسي تركني الجرسون، وبدأتُ أقلب في الأوراق أمامي، كان هناك

fb/mashro3pdf

"منيو" فعلاً بوجبات ومشروبات، ثم رأيت ورقة التعليمات "ممنوع الجلوس مع أحد آخر أو السلام عليه، ممنوع اصطحاب أحد المعارف أو الأصدقاء، نرحب بك بمفردك، من الأفضل أن تأتي جائعًا حتى تشعر بأنك تريد شيئًا فعلاً، لا تفقد أعصابك لأي سبب، لو لم تعجبك فكرة المطعم يمكنك أن تغادر ببساطة فلا داعي لإثارة المشاكل، نحن لا نعطي نصائح وهدفنا إشعارك بأهمية التواصل عن طريق إغراقك في الوحدة، يمكنك أن تقضي طوال اليوم في المطعم أو خمس دقائق بسعر موحد موجود أسفل ورقة التعليمات، إذا كانت المرة الأولى لك نحن نقدِّر ويمكنك المغادرة فورًا إذا اعترضت على السعر، إذا ظهرت عليك أعراض التيبس تُنقل إلى مخازننا، وتصير جزءاً من مقتنياتنا". كل التعليمات عادية ما عدا الأخيرة، بدت لي العبارة أقرب إلى المجاز، فمهما رفعت يدك ومهما استمرت ملامحك على تعبير واحد فلن تتحول إلى تمثال، كما أن هناك صعوبة في حدوث تفاهم تجاري بين المطعم والحكومة حول اقتناء أشخاص، كما أن هناك صعوبة في الاحتفاظ بأجسادهم. قررت أن أسأل في الأمر، ربما يستجيبون لي باعتبارها المرة الأولى لي، نهضت من مكاني، واتجهت إلى أقرب جرسون، نظر إليَّ بابتسامة، وقبل أن أسأل قال بصوت مهذب: "لا أسئلة. استمتع بوقتك"، ثم اتجه إلى ما يبدو أنه المطبخ. عدتُ إلى مكاني وانتبهت إلى رائحة شواء تخترق أنفي، مختلطة بصوت أغنية أجنبية، صانعة جوًّا من البهجة لا يكتمل أبدًا سوى بشريحة لحم مكتملة الطهو، تقطعها على مهل، تاركاً عصارتها تنسال في جوفك قبل أن تبتلع ما

fb/mashro3pdf

مضغته، مُغلقًا عينيك. عند تلك اللحظة، قررتُ المغادرة. اقتربتُ من الباب، ورأيتُ جرسونًا يقف بالقرب منه، وشعرت كأنه سيصعقني بشيء يخفيه في يديه المتشابكتين خلف مؤخرته، ولكن بمجرد عبوري الباب ضحكت من الفكرة.

اصطدمت عيني فجأة بأرقام سيارة المدير، لم أتبينها لحظة قدومي، ولكني لم ألحظه بالداخل، أنا متأكد من أنني شاهدت كل الموجودين تقريبًا، ولكن ربما يكون للمطعم امتداد عبر ما تصورت أنه مدخل المطبخ أو الحمام، أو أي باب آخر لم أشاهده. فكرت في العودة، وحسمت تفكيري سريعًا، استدرتُ وقطعت الخطوات القليلة دافعًا الباب متجهًا إلى طاولتي، جاء إليَّ جرسون ومال إليَّ هامسًا: "غادرتَ منذ قليل، ونحن لا نستقبل نفس الفرد مرتين"، مشيرًا إلى سطر في ورقة التعليمات يبدو أنه سقط مني، حسنٌ.. تزاحمت على عقلي الأفكار المشوشة كما يتزاحم الذباب على الخراء، ولكني سألته عمومًا: "هل هذه المساحة هي كل المطعم؟ آسف.. آآ.. كل شيء يبدو عجيبًا.. هل تفهمني؟! لست متطفلاً، ولا أريد خرق قوانينكم، ولكن صدقني لم أقرأ كل التعليمات، آسف.. أقصد أن بعضها سقط مني أثناء القراءة.. فهل يمكنك استثنائي؟!". ابتسم الجرسون وقال بنفس صوته الهامس وإن اعتدل في وقفته: "لا استثناءات الأمر ليس بيدي صدقني، يمكنك أن تغادر، تفضل". في الخارج كانت سيارة المدير في مكانها. قطعت المسافة إلى مقر الشركة سريعًا متحاشيًا النظر إلى الإعلانات الضخمة. نظرتُ إلى شرفة الشركة كأنني أتوقع أن يكون المدير في تلك اللحظة واقفًا بها،

fb/mashro3pdf

ينظر إليَّ بسخرية. بمجرد تحركي بالسيارة أوصلت الموبايل بسماعتها، واتصلت بزميلتي، وجاءتني رسالتها المسجلة بصوتها: "آسفة لا أستطيع الرد عليك الآن.. أنا مشغولة، وسأفكر في الاتصال بك لاحقًا". انتهى اليوم بالنسبة إليَّ، فكرتُ في تلك اللحظة أنه لا شيء أفضل من التمدد على الفراش، وإغلاق العينين، ولكن المطعم سيطر على تفكيري، وقلتُ لنفسي كان من المفترض أن أتوقف بسيارتي أمام المطعم، لأرى إن كان المدير سيخرج من هناك أم لا، وقررتُ أنني بالتأكيد سأعود إلى هناك في اليوم التالي.

في الصباح حضر الجميع قبلي، قلت لزميلتي بابتسامة أنني اتصلت بها أمس، فردَّت بينما تطالع جهازها: "آسفة.. لم أنتبه!". كانت تتعمد إيصال كذبها إليَّ، نطقت الحروف كأنها تقول لي بالضبط: "لقد تعمدت عدم الرد!"، وحتى لم تحاول أن تسألني عن سبب الاتصال، في الأغلب توقفت تلك الاتصالات بيننا منذ مدة، في اللحظة التي أخبرتني بارتباطها. وأنا أتجه إلى غرفة المدير فكرتُ في أن من يشاهدك في الكاميرا يستطيع أن يتحكم تمامًا في انفعالاته أمامك، لو لم يكن يمتلك تلك القدرة على مراقبتك ستبدو النظرة الأولى التي يقابلك بها صادقة إلى أبعد حد، حتى ولو غيَّرها سريعًا، كما لو أنه ينزع وجهًا ويُركّب آخر، ولكنك بمجرد أن تطرق الباب ينظر في الشاشة أمامه ويجهز الوجه الذي سيقابلك به، توقفت أمامه، كانت المرة الثانية التي أخطو فيها إلى مكتبه بعد إلقاء تحية الصباح، انتظرني لأتحدث، ووجدتُ نفسي أقول له: "أريد أن أحدّث حضرتك في أمر شخصي، أنا مؤلف، أكتب

fb/mashro3pdf

الأدب منذ سنوات طويلة، وأريدُ أن تقرأ بعض أعمالي!"، وسألني: "أين هي كتبك؟"، قلت له: "لم أنشر كتبًا، يمكنني أن أرسل لك على الإيميل!"، قال لي: "يمكنك إرسالها، ولو وجدت وقتًا سأقرأ، شكرًا لك على أية حال". أغمضتُ عيني في المكتب وفكرتُ في شوارع القاهرة، وفي الرجل الذي اصطدمت به متعمدًا في وسط البلد وتمثيلي السقوط على الأرض، لا أعرف إلى الآن لماذا فعلت ذلك على وجه التحديد، هنا لا مجال تقريبًا لأفعل ذلك، بالتأكيد هناك أشخاص يسيرون في الشوارع، ولكنها ضخمة، ضخمة للغاية، وكافية لابتلاعنا جميعًا، وإهدائنا للصحراء، في المول الضخم بـ"٦ أكتوبر" سيبدو الأمر عاديًا وتلقائيًا، لأن الناس يتحركون في ممراته المتقاطعة مثل أسراب النمل، يصطدمون ببعضهم، ولكنهم يعدلون من خطوط سيرهم سريعًا، مواصلين الحركة إلى الأبد، في الأغلب ليسوا من السكان الأصليين، وإنما أيضًا قادمون من القاهرة، ولكنهم ذلك المزيج المتنافر من جميع الأحياء، ومن بلدان أخرى، في الخارج تنتظرهم سيارات فارهة، وأخرى قديمة الطراز، وتاكسيات، وميكروباصات، وأتوبيسات. بعد انتهاء العمل قررت الانتظار في سيارتي دقائق قليلة، أمام المطعم، ثم دقائق أخرى، فأخرى، مرت ساعة تقريبًا بدون أن يظهر المدير، هبطتُ من السيارة متجهًا إلى المطعم، كانت هناك حركة غريبة بعض الشيء، أصوات جلبة، مجموعة من الجرسونات يتعاونون لرفع شيء ثقيل لم أتبينه جيدًا، جلست إلى أقرب طاولة، ومثلت الاندماج، لأوحي للجالسين بأنني لا يهمني ما يجري، كانوا يرفعون أيديهم، رغم

fb/mashro3pdf

أنَّ الجميع تقريبًا مشغول بالأمر، بعد ثوان مروا بجواري وما بدا أنه شيء ثقيل كان تمثالاً يرتدي بدلة كاملة، وحذاءً لامعًا، ويرفع يده، لم أشاهد الوجه، لأنهم شكلوا بأيديهم ما يشبه قاعدة الكرسي ورفعوه- هو المصبوب في وضع الجلوس- من مؤخرته، من الزجاج لمحت سيارة المدير تقف في نفس المكان، كانت ملامحه غائمة، ولكنني خمنت أنه يتطلع إلى الجرسونات من خلف زجاج سيارته، قررت النهوض، والأفكار تهاجمني، اتجهتُ إلى الباب بسرعة، غير أنني اصطدمت بما يشبه الحائط الرخو، وعدت سنتيمترات، ووجدت في مواجهتي رأس الحيوان.

fb/mashro3pdf

أربعة مقاعد لضيف وحيد

حارس البار بالتأكيد ليس من سكان الحي الراقي الأصليين.

يمكنُ معرفة الأماكن من مظهر الأشخاص. هل تصلح هذه العبارة كنظرية؟ فكر بينما يسير في شارع ٢٦ يوليو، والساعة تقترب من العاشرة، بينما تعلق نظره بشخص يرتدي جلابية رمادية، جلابية نظيفة ومكوية، ومن أسفل الياقة «الشيك» يبدو وكأنه يرتدي «تي شيرت» رماديًّا أكثر قتامة، وحذاءً رماديًّا، مرَّ بالقرب منه واختفى داخل بناية. نظر إلى ما يرتديه هو وكأنه نسيه، إذا كان يحب الزمالك إلى هذه الدرجة فلماذا يشعر، طوال الوقت، بأنه غريب فيها؟ الشباب والفتيات يجلسون في الكافيهات المنتشرة على الجانبين. كثيرًا ما جلس بالقرب منهم، ولاحظ أنَّ عددًا من العلاقات تنشأ بين أشخاص بدون أن يكون هناك سابق معرفة بينهم، لم يكن يقصد التلصص، ولكن من حوله كانوا يتصرفون بعادية شديدة، وحتى ولو لمحه أحد الأشخاص وهو يحدق إليه وإلى من يجلسون معه فلم يكن ليخفض صوته أو لينبِّه الباقين، كما لم يحاول أحدهم لشهور طويلة أن يتحدث معه. كان وجوده غير محسوس كأنه شبح، وكان من المفترض أن يشعر بالراحة

fb/mashro3pdf

هو الشخص الذي يبحث عن العزلة، وقرر أن يصوغ ما يفكر فيه على هذا النحو: «أنا أحب العزلة.. ولكني أشعر بالضيق حينما يعتزلني العالم». منذ أيام كانت فتاة جميلة تجلس وحيدة بالقرب منه، وبالقرب منهما مجموعة أخرى انشغل كل منهم بتليفونه، هل تنتظر أحد أصدقائها أم تقضي وقتًا عاديًا؟ لماذا فقط ذلك التعبير الحزين على وجهها؟ لمحته وأشاحت بوجهها بعيدًا.

كان عليه أن يقنع نفسه بالنسيان طوال الوقت، وتغيير ما يفكر فيه من خلال جملة جديدة «العالم يُدير ظهره لمن يحب العزلة». عليه أن يكون أكثر اتساقًا مع نفسه، وأن يترك الأمور تسير بعادية. في لحظات التفاؤل يفكر في أنه متطرف، وعليه أن يصدق عدم اقتناعه بفكرة واحدة، بدليل أنه يغيِّر وجهة نظره مع أي حدث، أو طارئ، كما أنه يغيرها، حتى، وفق ما يُمليه عليه عقله، في لحظات صفائه أو اضطرابه. على سبيل المثال، تلك الموسيقى التي تنسال من السماعتين تملؤه بالراحة، ويتمنى أن يمتلك آلة زمن ليعود لشكر الكورال المصاحب لذلك المطرب القديم. جزء من عظمة ذلك المطرب يكمن في التناغم غير الطبيعي مع أفراده، ومع أصواتهم الرائعة، التي يكاد يلمس كلَّ صوتٍ منها بيديه، ولكنه حينما ينزع السماعتين ليعرف ما يريده ذلك النادل الذي يتحرك كإنسان آلي، ومطالبته له بأن يتحرك قليلاً إلى الوراء ليُفسح المجال لطاولة أخرى، يشعر بالغضب. الأفكار فعلاً ليست مجردة، الأفكار ملونة بمشاعرنا، وهي أقرب إلى الواقع الذي نعيشه، السعادة ذات ألوان زاهية، والحزن والغضب تمثلهما الألوان القاتمة. لم يكن ليستسلم لخاطر

fb/mashro3pdf

واحد، ولكن ما كان يكرهه هو عدم سيطرته على تلك الخواطر، لا يمكن أبدًا أن يسمح بسيطرة عقله عليه، هو من يقود، والعكس يعني أنه لا يعرف جيدًا موضع أقدامه.

عاد الشخص الذي يرتدي جلابية رمادية إلى محيط رؤيته، ليعيده إلى غربته. لماذا يتحرك هذا الشخص بتلك الثقة المطلقة التي تشي بأنه من السكان القدماء الذين أسسوا الزمالك؟ ما حاجته هو إذن إلى أن ينتمي إلى ذلك المكان الذي يشعره بتلك الغربة، هو من يعيش في حي راق آخر؟ قد نستريح قليلاً لو حاولنا أن نفكر من منظور الآخرين، مسته الفكرة للدرجة التي كاد معها أن يسأل الفتاة الجميلة: كيف ترينني الآن؟ وهكذا عاد للتفكير في شخصيته المتطرفة.

انتهى به الأمر إلى ذلك البار ذي الباب الخشبي الضخم. الحارس يعرفه بكل تأكيد، فقد شاهده مرات كثيرة يأتي إلى هنا. منحه كثيرًا من الإكراميات، كان يتلقفها منه بدون كلمة شكر واحدة، وفي كل مرة يأتي هو يتظاهر الحارس بأنه لا يعرفه. هل وصل إلى أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يحصل بها على الإكرامية، بدون تقديم أي نوع من الخدمات؟ الحارس يُشعره بأن دخوله البار مسألة صعبة للغاية، وقد كان يغفر له ذلك في أيام الزحام، ولكنه في بعض الأوقات كان يفاجأ بعدد محدود للغاية بالداخل، كما سيحدث اليوم. هذا الرجل، الذي يفكّر، ولا يدري لماذا، لم يقرأ كتابًا واحدًا في حياته، يمارس عليه ضغطًا نفسيًّا كبيرًا، وهذه المرة سيسمح له بالدخول بدون أن يقول له

fb/mashro3pdf

جمله المحفوظة المقتضبة عن عدم وجود أماكن شاغرة، ومع هذا لم يبتسم، ولم يبد أي إيماءة ترحيب به. على البار كان هناك عدد من الأشخاص ومعظم الطاولات كانت فارغة، وهو اختار الجلوس في ركن بعيد بجوار شمعة عملاقة، بحيث يتمكن من الحصول على رؤية شاملة. بالقرب منه كان شخص، في أواخر الأربعينيات، يجلس بمفرده، حيّاه حينما لاحظ أنه ينظر إليه بإيماءة من رأسه. تغيرت مشاعره في تلك اللحظة، فما حاجتنا إلى أن نشعر بالمؤامرة في محيط كبير يضم كل هذا العدد المختلف من البشر؟ حي كامل راق لا يعني أن سكانه يفكرون بالطريقة ذاتها، لا يشعرون بالمشاعر ذاتها، ولكن ألم يكن يفكر منذ ساعات في أن المكان يترك تأثيره على الأشخاص؟ لو قرر السكن في الزمالك، وهو يملك، هل يقيم السكان حفلة على شرفه؟ لا يريد، ولكن، على الأقل، هل تنفتح الأبواب السحرية، لذلك الغريب؟ ذلك الشبح هل سيحصل على الألوان الطبيعية لحظة أن يخطو في شوارع الحي الراقي؟ انتبَه إلى الأربعيني المبتسم، يتوقف في مواجهته، وهو يستأذنه في الحصول على كرسي. هزَّ رأسه بحماس، وانتبه إلى أن أربعة كراسي كانت تحيط بطاولته، وقد تبرع بأحدها للأربعيني، فما حاجته إليها؟ نظر إلى طاولة الأربعيني، ولم يكن هناك أحد معه، وانتبه إلى أنه أصبح يملك خمسة كراسي الآن. فجأة دخلت الفتاة الجميلة وسارت بالقرب منهما، وتلك الابتسامة على وجه الأربعيني ونظراته إليها أشعرته بأنها في طريقها إليه، ولكنها جلست بالقرب منهما. نظر إليها فأشاحت بوجهها. انتبه في تلك اللحظة إلى أن

fb/mashro3pdf

كل طاولة يجلس إليها شخص واحد مع مجموعة كراسي، وكان كل منهم مشغولاً بتليفونه، وكان نادلان يتحركان بآلية بينهم. نهض الأربعيني واتجه إليه مشيرًا بيده إلى كرسي آخر، بدون أن ينطق، وكان عليه أن يؤجل هواجسه عن ذلك الرجل إلى ما بعد ذهابه إلى طاولته، ولكن مع تكرار الأمر لمرة ثالثة في أقل من الساعة ومع عدم مجيء أشخاص إلى الأربعيني شعر بخوف حقيقي، أشار إلى النادل، وشرح له بصوت خفيض ما جرى: "هذا الأربعيني يأخذ كل الكراسي"، فتركه النادل قائلاً باقتضاب «عادي». تطلع إلى الأربعيني فوجده ينظر إليه مبتسمًا، وحينما نهض من مكانه شعر بخوف عميق يضربه، وتحسس موضع كرسيه بيديه الاثنتين. كان الرجل يقترب منه وابتسامته تتسع، ثم رفع يده، مشيرًا إلى الكرسي، في الوقت الذي بدأت فيه الفتاة الغناء بصوت عال.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

فرشاتان في الشارع

اندفعتْ كطلقة من مدخل العمارة محاولة دفع الطاقة إلى دمائها، مقاومة البرد، الذي ازدادت ضراوته في ذلك الوقت المبكر، وبدت البنايات الضخمة الزجاجية أعضاء ذكورية مشرعة في الهواء لا تشعر بالبرد ولا تؤثر فيها الرياح. دفنت يديها في الجاكيت القصير، وشعرت بانفصال نصفها السفلي، كانت تنورتها على قصرها تحاول الانفصال عن جسدها، لتُحلق في سماء المدينة، مع قصاصات الأوراق وأكياس الشيبسي والمناديل الورقية.

الكلمات التي وجهتها لصديقها كانت مُرَتَبة إلى أقصى درجة، وقف قبالتها عاريًا، ثم ترك جسده يتهاوى على أقرب مقعد إليه، كأن مقاومته انهارت، كان مصدومًا في نظرها، وصدْمتُه بَثَت فيها نوعًا من الثقة، كانت تتمنى لو يطلب منها البقاء ولو لبضع ساعات إلاّ أنه لم يتحدث، وكانت آخر ما رأته منه عيناه المغلقتين، ويداه اللتان يضعهما متضامنتين على عضوه. كانت تتحرك خطوتين وتعيدها الريح خطوة،

fb/mashro3pdf

وكان شعرها يضرب عينيها بقسوة، ويعميها لحظات، فتنفض رأسها، حتى شعرت بدوار من فرط حركاتها القوية المتشنجة، وكانت ترى بضعة أشخاص يغادرون سياراتهم أو يستقلونها، يخرجون أو يدخلون عمارات أو فنادق أو بارات، ولكنهم يختفون بسرعة، أشخاص تنثر الريح ملامحهم. لسبب ما كان هناك هاجس بمطاردة محتملة يلاحقها. لن يهبط صديقها عاريًا، وارتداؤه ملابسه ولو بسرعة ليلاحقها كان يعني أنه يحتاج إلى دقيقتين أو ثلاث، تكفيها للاختفاء في تقاطعات الشوارع.

سمعتْ صوتًا بالفعل، صوتًا غريبًا، يأتي من خلفها، والتفتت خلفها، ورأت على بعد خمسين مترًا تقريبًا جسدًا ضخمًا، وميَّزت بدلة سوداء لامعة، توقفت لحظة فسمحت للريح بأن تقتلعها من الأرض وتلقيها ثلاث خطوات، وقاومت السقوط ونجحت، وقررت أن تسير مُحركةً رأسها إلى الخلف بأقصى قدر تستطيعه، وقدَّرت من المسافة بينها وبين الشخص الذي يقترب منها أن خطواته ثابتة كأن ثقل جسده أقوى من الريح، كان رأسه ضخمًا، ضخمًا بشكل مبالغ فيه، وربما يرتدي شيئًا ما فوقه، ربما كاب، وربما.. أذنان. في تلك اللحظة رأت الوجه بوضوح. كان وجه حمار، وشعرت بالهلع، وأول فكرة حاصرتها هي أن ذلك الشخص أحد بقايا حفلة تنكرية، لا يتمايل، وخطواته ثابتة وقوية، والمسافة بينهما تضيق، وهذا يعني بحسبتها أنه لا يحتاج سوى إلى أقل من دقيقة ليصبح بمحاذاتها. هل ستتركه ليفعل، وهل سيقبض على جسدها بذراعه، وهل تستطيع مقاومته، أم هل سيعبرها؟ هربت الأفكار من عقلها واختلطت بدمها.

fb/mashro3pdf

الليلة لم تكن تنذر بكل هذا بالنسبة إليها، كانت تعتقد أنه عليها فعلاً الإنصات إلى صديقها حينما يقول لها إنها تتحول إلى شيطانة في لحظات غضبها. لم تكن تفكر في الزواج منه، ولا من غيره. على الأقل كان ذلك خطوة مؤجلة. وأمَّنت لها وظيفة في البنك، مبلغًا شهريًّا معقولاً تستطيع من خلاله الاستغناء عن رجال العالم، هو كان يعلم تمامًا أنها متعلقة به، تكاد تنسى تلك اللحظات التي تبدو بعيدة الآن وكانت تحرص فيها على أن تثبت له ذلك، بعد أن تنهي أي مكالمة مع شخص آخر تخبره بهوية المتصل، وماذا كان يريد منها، وكان دائمًا يلوح بيده أن لا عليك، وأحيانًا يطلب منها الكف عن ذلك، أحيانًا كانت تفتح الرسائل أمامه، وتقرأ ما بها، بطريقة تمثيلية، فيضحكان، ثم يلوح بيده أنه يعرف طريقتها في إبعاد الظنون عن رأسه، ومع هذا استمرت في ما تفعله، واستمر في تلويحاته، ثم إنهما كانا غريبين، تفكر، ومنفتحين إلى أقصى درجة، أمام البشر، ومع ذلك يبدوان محافظين تمامًا حينما يكونان بمفردهما.

اعترفت لنفسها كثيرًا بأنها من تبدأ المشاكل، لكنه أيضًا، بالنسبة إليها، لم يكن يستمع إليها، كان سريع الغضب، تفكر في أن لديه كل الحق فيما يقوله لها وفي غضبه، ولكنه أيضًا كان عليه أن يتحملها ولو قليلاً، كان أكثر ما يمتعه هو نظرات أصدقائه إليها، كان يتحدث أمامهم في لحظات السُكْر مُقلدًا صوت تأوهاتها في الفراش، كأنه يشحن بطارياتهم، أو بطاريته، لا تدري، وكانت تستمرئ الأمر أحيانًا، فتبدأ في تقليده، وينتقل الأمر إلى آخرين، ويتحول الأمر إلى حفلة من المبالغة

fb/mashro3pdf

في الأصوات التي تصل إلى العواء. كانت تعترف أحيانًا بأنها تحب حياتهما، لكنها أيضًا تشعر بأنها تحتاج إلى قليل من الخصوصية، فيقول لها إن أكثر مرات الجنس إثارة كانت بعد حضورهما سهرات مماثلة، يستطيع كل شخص أن يحصل على نصيبه الكافي من الصدور، تعجبه البلوزات القطنية في استجاباتها العملية للأثداء اللدنة، كأنها مشنَّات تفاح، واستدارات المؤخرات المرسومة بـ"برجل"، والنظرات المفاجئة أو المصنوعة، وتموجات الأجساد مختلطة بذلك الصخب الجنوني المثير، وألوان الملابس الداخلية حينما يبدأ الجميع في التصرف على راحتهم في لحظة ما، ويسألها عما يثيرها في الرجال؟ كانت تجيبه سابقًا، ثم بدأت تضع إصبعين فوق شفتيه، وتضمهما، كأنهما مشبك يمنعه من الكلام، ثم بدأت تضع إصبعًا فوق شفتيها، مُطلقةً ذلك الصوت الذي يعني "إخرس"، يقول لها إنهما في المرات التي فعلا فيها ذلك بعد يوم عادي كان يشعر بأنها أخته، يقول ذلك كثيرًا ويضحك بنفس الطريقة، صحيح أن الأمر ينجح في النهاية، لكنه يكون مُنهكًا إلى أقصى درجة.

كان يصالحها بعد مناقشة ساخنة في الصباح بطريقة محببة، حيث يُشبك خيوط فرشاتي الأسنان، حينما كان يريد أن يخبرها بأنه ما زال غاضبًا منها يضع كل واحدة في ظهر الأخرى، كانت تصدق هذه الحالة، أن فرشاتي الأسنان صارتا تشعران، بل إنها كانت تتخيل كل واحدة منهما بذراعين غاضبتين، ذراعين معقودتين أمامهما، كان الأمر قاسيًا، بالنسبة إليها، حينما يضطران إلى شراء فرشاتين جديدتين، هاتان الفرشاتان القديمتان لا تستحقان الإلقاء في سلة القمامة، حينما

fb/mashro3pdf

أخبرته بذلك للمرة الأولى ضحك، كأنه لم يبتكر هذا الأمر، وأغضبها ذلك جدًا، ثم اتفقا أن يحتفظا بالفُرَش القديمة في صندوق خاص، كل اثنتين يربطانهما بخيط رفيع، كانت تفكر في أن ذلك الخيط هو ما سيُبقي الفُرَش مشدودة إلى بعضها، لو أنها تُركت لحالها فقد تملأ الفوضى الصندوق.

شعرت بأن شيئًا صار خاطئًا في علاقتهما حينما استيقظت صباحًا منذ أيام ووجدت الفرشاتين تقبِّلان بعضهما، اصطادت فرشاته الزرقاء، وألقتها من نافذة الحمام، ثم التقطت فرشاتها الحمراء واحتضنتها مقاومة البكاء، نزل إلى الشارع، وعاد بها. نظرت إليه بامتنان، ومع هذا شعرت أيضًا بأن تلك الفرشاة صارت قطة شوارع، ورفضت إيداعها الصندوق. فكرت أن وجود فرشاتها الحمراء بداية لقصة جديدة يمكنها أن تغير شيئًا من أجواء الصندوق. كان على وشك الانفجار، كما تفكر، وهو يشاهدها تلقي فرشاته مجددًا من نافذة الحمام، ولكن ملامحه ظلت ثابتة.

أثناء نزولهما على السلم، اليوم، قابلهما باندا، ثم نابليون، ثم خفاش يدخِّن ويسعل. خمنت أنه يكاد يختنق بسعاله أسفل قناعه. كان جارهما يقيم حفلات أسبوعية، ويدعوهما، ذهبا مرة وامتنعا بعد ذلك، شعرت أنهما عادا بالزمن كثيرًا، الجار وشلة أصدقائه يحاولون الحياة في زمنها، مع أنهم ينتمون ربما إلى الثمانينيات، كان هنالك شيء مصنوع في كل تحركاتهم، وكلامهم، فارق الزمن كبير بينهما، لم يكن هناك

fb/mashro3pdf

شاب واحد بالحفلة، وربما كان الجار يحاول تجديد شباب الشلة بهما. اعتذرا له في كل المرات بشكل جيد، ضحكت وهي تتخيل أن أسفل تلك الأقنعة حيوانات حقيقية. لم تلاحظ أن الجار يقيم حفلات تنكرية قبل ذلك، وتلك الأقنعة على وجه التحديد أكدت لها فكرة أن الجار وأصدقاءه قدماء جدًا. تخيلتهم في لحظة ما يبدؤون بخلع أقنعتهم في وقت واحد، ثم يرى كل واحد منهم دهشة مرعبة على وجوه الآخرين، يهرولون باتجاه المرايا، ويرون وجوه حيوانات حقيقية تعلو منها نظرات الرعب، يحاولون نزع أقنعة وهمية عن وجوههم ولكنهم لا يستطيعون، يمتلئ المكان بأصواتهم المبهمة، ويبحث كل واحد عن شخص يعرفه، وفي النهاية يقررون الهرولة إلى الشارع ليتأكدوا أن مدينتهم لا تزال موجودة.

كان صديقها يقف مع إحداهن، كان مندمجًا إلى أقصى درجة مع الفتاة القصيرة التي تعلقت برقبته، وحتى يعطيها حرية الحركة، كان يثني جذعه مكونًا قوسًا يبدأ من قدميه في الأرض، ومنتصفه مؤخرته، ومنتهاه عند صدر الفتاة، كما أنه منح حرية الحركة لإحدى قدميه دافسًا ركبته في الهدف بالضبط صانعًا فجوة أكبر من فجوة تخلفها قذيفة في حائط هش، وكانت الفتاة تتمايل بعنف في جميع الاتجاهات محاولة توسيع الفجوة إلى أبعد حد ممكن. أثارها المشهد، وقالت له ذلك ببساطة. كانت كل المشكلات بينهما تبدأ من لحظة بسيطة، جملة عادية، ثم تنتهي أيضًا بعد إعصار إلى هدوء.

fb/mashro3pdf

كانت تفصلها عن الشارع الرئيسي مائتا متر تقريبًا، هناك يمكنها إيقاف تاكسي، ويبدو أن الحمار خلفها كان يُفكر في ذلك، ملأتها الفكرة، وشحنتها بالأدرينالين، تسارعت خطواتها حتى بدأت في العدو، ولم يمنعها ذلك من الالتفات خلفها، وهي تفكر في الحيوانات التي انتشرت في المدينة بعد أن غادرت الحفلة التنكرية، وفوجئت به يسقط على الأرض، انتبهت.. لم يكن يسقط في الحقيقة، بل كان يعدل من وضعه بحيث يصبح على أربعة، توقفت والتقت أعينهما، ثم بدأ بالعدو في اتجاهها.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

جماعة النباتيين المتطرفة

هل أخبركم عن مدينة البدناء؟

مستريحون، وأغنياء، وملابسهم زاهية، رجال بدناء ونساء بدينات، لا يعانون سوى من أمراض السمنة، ويستيقظون وقتما يشاؤون. لا يحبون السياسة، وبارتِ جريدتهم المحلية الكبرى، التي تصدر عن ذلك الحزب القديم. صار أعضاء الحزب أنفسهم مادة للسخرية، فلم يعد لديهم ما يفعلونه سوى الحنين إلى فترات يختلط فيها الغنى بالبؤس. سمعوا أن هناك ثلاث مدن فقط في هذا العالم، وكل منها تعيش سعادتها. هنا يلعب الذئب مع الشاة، ويمرح الأطفال بجوار الثعابين، والأطباء الكسالى البدناء يعملون ربع الوقت فقط، ويقسمون أوقاتهم بين مشاهدة التلفزيون، والتلذذ بالأطعمة، والنوم في الحدائق، ويرتادون عيادات بعضهم البعض، يضحكون وهم يشكون أوجاعهم لزملاء في النقابة الوحيدة التي تضمها مدينتهم. نقابة أطباء السُمنَة.

هؤلاء الكسالى في توقيت ما أدركوا أن طغيان اللون الأخضر سيصيبهم بالكآبة، الأرض العفية، التي أخرجت أثقالها، وفاضت

fb/mashro3pdf

بالخير لم تترك حيزًا للون آخر، كأن زجاجة لون أخضر انسكبت على صفحة بيضاء، في هذا التوقيت كانوا لا يزالون يعملون قليلاً وقرروا طلاء بيوتهم بألوان مختلفة، ولو اطلعت عليهم من السماء لكأنك ترى لوحة رسمها طفل بكل الألوان التي توفرت له. لم يكونوا في حاجة إلى بذل كثير من المجهود في الزراعة لأن الأرض لم تكف عن الولادة، والسماء لم تتأخر لحظة عن الإمطار. كانوا على فترات بعيدة يُهذبون أوراق الشجر التي تجتاح منازلهم، ولكنهم تركوها تسرح على الأطراف وتصنع غابات من أشجار عملاقة، ولم يفكروا أبدًا في تجاوز مدينتهم.

كانوا يأكلون ويشربون ويبولون ويتغوطون ويضرطون في أي مكان، وكانت الطبيعة الجميلة تمسح بقاياهم، كأن فرشاة سحرية أزالتها من اللوحة لتعيدها سيرتها الأولى. وكان أعضاء الحزب الذين أنهكوا أنفسهم في الجري لمسافات طويلة فوق العشب يطرقون أبوابهم أو يقفون فجأة أمام حدائقهم ليُحدثوهم عن الخطأ التاريخي الذي ترتكبه المدينة على أيديهم. كانوا يتحدثون عن شرف الإنسانية الذي يضيعونه، كانوا يقولون كلامًا عن الإنسانية التي يسبغها العمل، ويقولون إنه كي يشعروا بأنهم في مدينة فلا بد أن يستيقظوا في وقت واحد، يذهبون إلى أعمالهم في وقت واحد، يعودون في توقيت واحد، افتقاد المدينة إلى العمل يعني أنها تفتقد إلى الإيقاع، وافتقاد الإيقاع يعني أنها قرية، وكانوا يقولون إن الدين أفرط في تصوير لحظات السعادة التي تسبق القيامة بدون أن يخبرنا عن أمراض التخمة.

fb/mashro3pdf

ذات مرة توقف رئيس الحزب أمام مجموعة يجلسون على مقاعد وثيرة في الحديقة الكبرى التي تتوسط المدينة، وبدأ يصيح، محركًا يديه مع كل حرف. كانت الكلمات تتجمع في فمه وتنهمر في الفراغ، وكانوا يحدقون إليه بدون أن يحاولوا مداراة نظرة المبالاة التي تعتليهم، لم يشعروا بالضيق لأن الضيق يعني أنهم يبذلون مجهودًا، ولم يكونوا أيضًا على استعداد لذلك. كان يقول: انظروا إلى حالكم، لقد تحولتم إلى حيوانات، ونحن مفضلون على الحيوانات التي تذبحونها وتتغوطونها. لديكم الثمار والحبوب، ولكنكم اخترتم الأدنى منزلة واستبدلتموه بالذي هو خير. كان الغضب في وجهه غريبًا على عيونهم التي أدمنت الوجوه المسترخية والناعسة، وربما كانوا يفكرون، في هذه اللحظة، في الطريقة التي يتصرف بها هذا الرجل ليكتسب فعلاً كاد يندثر.

وكان البُدُن متضايقين ويشعرون بأن خصوصيتهم تُخترق، على الأقل لأنهم اضطروا إلى الاستماع، وبالتالي تحركت صور في أذهانهم، صور لواقع غريب، يتحركون فيه في مواعيد محددة إلى ما يُفترض أنه أماكن العمل، وهذا يعني أنهم بذلوا مجهودًا لتغيير نمط حياتهم، للتفكير في نوعية هذه الأعمال، لتقسيمها، لإنشاء مدارس وجامعات تؤهلهم لتلك الأعمال، وبالتأكيد فسيكون مطلوبًا مزيد من البنائين لإنشاء مكاتب وتجهيزها.

ولكن بعد دقائق من اختفاء رئيس الحزب كانوا يعودون من جديد إلى صفحاتهم الذهنية الخالية التي كان يقطعها الجوع بصورة لخروف

fb/mashro3pdf

مشوي، كانوا متصالحين حتى في صورهم الذهنية، أحيانًا كان يحدث أن يتخيل أحدهم نفسه يأكل من الخروف بمشاركة ذئب، وربما يمد يده إليه بقطعة سمينة لا يريدها. كان رئيس الحزب يظهر بهيئته التي تميل إلى النحافة في كل مكان، وبمرور الوقت صاروا لا يعيرونه انتباههم، وكان يبدي أسفه وغضبه لأنه كان يتخيل أن شيئًا ما يمكن أن يتغير. كان يقول إنه سيأتي وقت يكفون عن النوم مع زوجاتهم بسبب الكسل، وبالتالي فإن المدينة قد تموت بموت آخر ذريتها، ومن كانوا يتركون عقولهم للتفكير ثواني كانوا يهزون رؤوسهم متخلصين من الأفكار، فمعظمهم لديه أبناء ينامون مع زوجاتهم بانتظام، وفرحتهم كانت تكتمل لحظة الولادة حيث تجتمع العائلات في منزل المرأة الموشكة على الولادة، وتبدأ إحدى السيدات في مساعدتها حتى يأتي طفل آخر إلى حياتهم الخضراء.

لم تكن لديهم أسماء، وإنما أرقام، كل واحد يحمل رقمًا، من ١ وحتى آخر مولود، وحينما كان يولد طفل، كانت الشاشة التي تعلو مبنى المناسبات في وسط المدينة تزداد رقمًا، وكانت المدينة تطفئ أضواءها حينما يستسلم أحدهم للموت، وفي اليوم التالي تعود الأضواء وتعود اللوحة ناقصة رقمًا. احتاجت البشرية إلى آلاف السنين لتصل إلى اليقين، وبالتالي إلى السعادة، ومهما قيل عن حاجتها إلى العمل وللفنون فهذا لا يهم أمام سعادتها، فما الحاجة إلى ما يجلب الضغوط. هنا لا سلطة لأحد فوق أحد، كل شيء يتم ببساطة، وإذا حدث وخلا رقم بموت صاحبه يكون الرقم من حق العائلة ذاتها، وخلال مائة سنة على الأقل لم ينتقل

fb/mashro3pdf

رقم خارج عائلة سوى مرتين، إذ توقف أحفادهما الذين صاروا رجالاً عن الإنجاب، وبالتالي ظلت العائلتان ذكريات في ألبوم صور المدينة بدار المناسبات. الخلافات تم وأدها في ماضٍ بعيد، حينما كان البعض يصارع فكرة الكسل ليتحدث طارحًا أفكارًا خاصة، فحينما اقترح أحدهم أن يحصل على الأرقام المميزة أكبر الرجال والنساء في المدينة اعترض الباقون، فهذا يعني تغيير نمط كامل، ويعني خلو أرقام الكبار بالتبعية، وإحساس بأن الكبار أهم من الصغار، مع أن الصغار أمل البشرية في مواصلة سعادتها. كان رئيس الحزب يحمل على سبيل المثال رقم مليون وأربعمائة ألف وخمسة وثلاثين، في الوقت الذي كان بعض أعضاء الحزب من الأجيال الأحدث سنًا يحملون أرقامًا مميزة، مثل ١١، و٢٢، و٣٣، و٤٤. كان حفظ تلك الأرقام سهلاً، لأنه لن يدفع أحدًا إلى التفكير في صفة ملازمة للشخص الذي يحمل رقمًا كبيرًا، وكان الحزب منذ سنوات قد بدأ ينبه إلى التمييز الذي بدأ يظهر في أحاديث الناس، فمنهم من يشير إلى أحدهماَ إحداهن بالطويلاَة، أو القصيراَة، أو الأعوراَ العوراء، أو صاحبـاَة الأنف المفلطحة، أو ذواَ ذات السُّرة المتدلية، وهذا يعني انتهاكًا لشرف المدينة، ولكن كل من استمع إلى كلام أعضاء الحزب لم يشغل ذهنه لأنه كان واثقًا من أن الأمر لم يتعد أبدًا فكرة محاولة تقريب الصورة لمن يخاطبهم. على أية حال قرر معظمهم عدم الحديث بهذه الصورة، على الأقل خارج العائلة.

كانت كل عائلة تهتم بشؤونها الخاصة، بأرضها وبحيواناتها، ولم يكن الأمر يحتاج إلى أي عناء وقد قرر الإله أن يعيد الجنة مرة أخرى إلى

fb/mashro3pdf

الأرض. كانت هناك خرافة يسخرون منها، أن المسيخ الدجال سيظهر في إحدى المدينتين الأخريين، وأنه سيغوي أهل مدينته قبل أن ينتقل إلى مدينتهم، والمدينة الأخرى. قال رقم ٢٥٠ مرة أمام تجمع في مبنى المناسبات:

- استعدوا.. سنشويه ونلتهمه حينما يظهر.

راقتهم الفكرة وضحكوا ضحكة رجل واحد قبل أن ينصرفوا إلى منازلهم، قاطعين أقصر الطرق إليها، وحتى ذلك الرجل الذي فَكر أن يستغل الموقف ليسأل بعض العجائز عمَّا يعرفونه عن البشر وحياتهم في المدينتين الأخريين وسعادتهم الخاصة هناك وهل يحملون أرقامًا أو أسماء قرر أن ينفض رأسه متراجعًا عن إجهاد لسانه. هنا يتحدث البشر من طرف واحد معظم الوقت. إذا كنت تسأل، حتى أقرب الناس إليك، في الأغلب لن تجد من يجيبك، ولن تشعر بالضيق لأنك فعلت ذلك مع آخرين، وستفعله، وأيضًا لأنك لا تريد إجهاد ذهنك بحديث طويل.

في السرير ينطبق جسد الرجل على الأنثى أو العكس، ويموجان في حركة دودية، رجالهم لا يعرفون الأوضاع الصعبة، وهم يمارسون الجنس لكنهم لا يبحثون عن المتعة، بقدر رغبتهم العملية في الحفاظ على وجودهم، وبالتالي حينما تحمل الأنثى يكون ذلك لحظة سعادة كبرى بالنسبة إلى الأب الذي يقرر أن يذهب في هذه الحالة إلى السرير للاسترخاء أو للنوم فقط، كما تشعر الأنثى بفرح غامر وهي تعلم يقينًا أنها غير مضطرة إلى إزاحة زوجها النائم من فوقها بصعوبة، أو لأنها

fb/mashro3pdf

ستظل شهورًا بدون إحساس بألم في الصدر والبطن جراء نومها أيضًا وتركه نائمًا حتى الصباح فوقها.

كان بعضهم يفكر بضع ثوان في أعضاء الحزب، كان شيئًا مدهشًا بالنسبة إليهم وجود بشر يفكرون ويتحركون طوال الوقت في الشوارع يطرقون الأبواب ويتحدثون بدون توقف، ويقولون كلامًا شبيهًا بالموجود في الكتب بالمكتبة الوحيدة الضخمة بالمدينة، الكتب التي ورثوها عن أجدادهم.

وربما عليهم أخيرًا أن ينتبهوا إلى أن شيئًا سيحدث، أو يتغير، لأن المدينة شهدت حوادث اختطاف متزامنة وسريعة لأطفال حديثي الولادة. تجمَّع الآباء والأمهات في دار المناسبات وكنوع من التقدير تجمع كثيرون معهم، واقترح أمين الدار أن يبحث الجميع في وقت واحد داخل جميع بيوت المدينة، وفي الحزب القديم، حتى ولو اعترض رئيس الحزب أو أعضاؤه، تسلل المسيخ الدجال إلى أذهان بعضهم، فنفضوا الهاجس الثقيل بصعوبة، ولكن بعض المتجمعين كنوع من المجاملة قالوا صراحة إنهم مرهقون وربما يبحثون معهم في أوقات لاحقة، وإنهم واثقون من أنهم سيجدون الأطفال، فلا يمكن لأحد مغادرة تلك المدينة التي تحيطها غابات الأشجار العملاقة، التي تركوها تلتف وتتضافر حتى صار مستحيلاً صناعة ممر بها، وإذا كانوا هم لا يستطيعون المغادرة فبالتالي لا يستطيع الخاطفون.

بدأت الصفوف في التملل، وبدأ البعض في المغادرة رقمًا رقمًا، ثم مجموعة أرقام، حتى أمين دار المناسبات غادر، بعدها رفع رقم ٣٠٠١

fb/mashro3pdf

صوته قائلاً إنه يمكن تقسيم الأمر بين الرجال والنساء، بحيث تبحث كل مجموعة في يوم، فالإرهاق قد يُفشل المهمة، والأهم طول النَفَس، ثم بدأ جدال طويل، يعني أن الجميع موافق على اقتراح رقم ٣٠٠١، عن المجموعة التي ستبدأ أولاً. كان كل فريق يريد إعطاء شرف البداية للآخر، وحينما فشل الطرفان قررا تأجيل الأمر إلى اليوم التالي، حتى يأخذ كل فريق وقته في التفكير، مؤكدين أنه لو أنَّ مكروهًا سيحدث للأطفال فبالتأكيد قد حدث فعلاً، والتعجل لا يعني شيئًا، وفي اليوم التالي انضمت أُسر جديدة إليهم بعد اختطاف أولادهم حديثي الولادة، وقرروا الحذر وإغلاق نوافذهم وأبوابهم التي ظلت مفتوحة لسنوات، ولكن نومهم الثقيل ساعد على تكرار حوادث الاختطاف. كان الذعر مؤقتًا، ويرتبط بلحظات الاستيقاظ، وحلاوة النوم كانت قادرة على إذابته كما يذوب الفوَّار.

في يوم قريب جاء رئيس الحزب إلى دار المناسبات وخطب في الجميع:

- أولادكم معنا، أنتم لا تستحقونهم، ونحن سنصنع عالمهم ومبادئهم، سيكونون نباتيين، لقد أنشأنا لهم مدرسة النباتيين، وجعلناها خلف إحدى الغابات، ونحن نعلم أنكم، وحتى مع كلامي هذا، لن تتحركوا لإعادتهم، لأن الكسل أصبح لصيقًا بأرواحكم.

كان يتحدث مُحركًا يديه في الهواء وكانت حركاته مدهشة جدًّا بالنسبة إليهم، فغالبًا لا تغادر أياديهم أماكنها من أجنابهم، لدرجة أنها حفرت أخاديد لها من فرط التصاقها وثقلها، وأكمل:

fb/mashro3pdf

- هناك جماعة متطرفة انبثقت عن الحزب، كان أعضاؤها يريدون قتلكم، لكننا بالكاد أقنعناهم بسرقة حيواناتكم وقتلها، وهكذا لن يصير أمامكم سوى الثمار والحبوب لتأكلوها. أنا هنا على بعد أمتار من أقربكم ومع هذا لن يتحرك أحدكم نحوي. هَيّا.. أريد أن يقتلني أحدكم، خذوني رهينة لتساوموا بها حزبي، استعيدوا أطفالكم، لو تحركتم فهذا يعني أنَّ الروح ما زالت تدب فيكم، ولستم محض أجساد رخوة.

من فرط صدمتهم لم يتحرك أحدهم، فكر كثيرون في بدء الهجوم، ولكن الغضب الذي كان يدخلهم كان يخرج من الناحية الأخرى لأجسادهم، كما يدخل الهواء من الشباك ويخرج من الشباك المقابل، كان كثيرون مقتنعين بكلامه، وفكروا بصدق في مهاجمته، ولكن الأمر كان صعبًا، فلم يجربوا أبدًا أعمال الشغب، تلك الأعمال بالتأكيد تحتاج إلى مجهودات ضخمة، والقتل لن يعيد أولادهم، كما أن المساومة تحتاج إلى وقت طويل، كان كل منهم يفكر في متعته، أقرب الأرقام إلى رئيس الحزب كان يتخيل فمه محشوًّا بقطعة ضخمة إلى أقصى درجة من ليِّه خروف، وربما لمح بعضهم دمعة تهوى من عين رئيس الحزب كحجر على الأرض مخلفة دويًّا وسط صمتهم، حتى تململهم كان صامتًا. شيء ما كان يمنحهم ذلك الصمت. الجاذبية كانت تشد أرواحهم إليها، وتجعلهم يتحركون كأجساد محشوة بالعجين. اقترب رئيس الحزب من أقرب الأشخاص إليه فأمال رأسه على صدره ناظرًا إلى الأرض، فهتف رئيس الحزب: لا فائدة.

fb/mashro3pdf

في الأسابيع التالية بدأت جماعة النباتيين في تنفيذ ما قاله رئيس الحزب، الخراف والخنازير والماعز والأبقار والجواميس والأحصنة والحمير والبغال والطيور بدأت في الاختفاء، بينما يغرقون في نومهم اللذيذ، وقرروا تعيين حراس منهم على الزرائب، ولكنَّ هؤلاء الحراس كانوا يسقطون أيضًا في النوم، وخلال شهور اختفت كل الحيوانات وصار الجوع كابوسًا يحاصرهم، كانوا يأكلون ثمار الفاكهة والبقوليات لكنهم لم يستسيغوا طعمها، وكانوا يتقيأونها بمجرد أن تصل إلى مَعِدِهم، وبدا أن الموت سيحصدهم بقبضة واحدة.

رجال الجماعة المتطرفون بدأوا في الظهور، كانوا يجلسون بالقرب منهم، ويحدثونهم عن ضرورة البدء من جديد، يمكن للبشرية أن تعود مرة أخرى إذا كففنا عن الشراهة، وأيقنا أن الجسد مجرد وعاء لروح نورانية، وتلك الروح تختنق بأرطال اللحوم والشحوم.

كان رجال الجماعة المتطرفة يظهرون أيضًا ليحملوا بعض الجثث قبل تعفنها، وقبل أن يفكر الباقون في شيها والتهامها، وكانوا يحملون جوالات من البقوليات يلقونها أمام منازلهم وأمام دار المناسبات، ولكن أحدًا لم يقترب منها.

تبرع أحد الأرقام بآخر ما يملكه من طاقة لجمع العائلات أمام دار المناسبات، ثم تحدث عن السعادة التي يريد النباتيون انتزاعها منهم، سيتركون هذا العالم لهم، لأنهم أرادوا تلويثه بالخطيئة، يكفي أنهم مسؤولون عن قتل المئات حتى الآن، وبما أن الموت قادم فيمكن أن

fb/mashro3pdf

تكون السعادة مؤقتة ولكنهم سيتشبثون بها حتى النهاية، ثم بدأت كل عائلة في العودة إلى منازلها.

كان بعض النباتيين يراقبون، من بعيد، بعض الأرقام وهم يجمعون فروع الأشجار بصعوبة بالغة، ويشعلون النيران بها، ثم يتقدم أحد الأرقام من مجموعة، ينحرونه بهدوء، ويربطونه بأسياخ أو بفروع أشجار، ينتظرون صفاء النار وخفوتها، ويقلبونه، تتسع عيونهم سعادة، وهم يضعونه على الأرض، ويمدون أياديهم إليه.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

قصة الرائحة

إلى جرونوى

شقتي الجديدة تذكرني بالجيولوجيا، ما إن أغيب يومين عنها إلاَّ وأجد طبقات مختلفة من الدقيق والرمال والتراب، متراكمة فوق بعضها، كأنها دخلت بالتتابع، وفي مواعيد محددة. طبقة فوق أخرى، مثل طبقات القماش الخام على أرفف دكان مانيفاتورة. لم أعد قادرًا على تمييز الروائح في شقتي من فرط تعددها، في خلفية عمارتنا مستودع جير ورمال، أسفلنا مجموعة من العطارين. كنت دائم السعال بسبب روائح البهارات، وغبار الجير، والرمال، فقدت قدرتي تمامًا على تمييز الروائح، ولكن صوت رئتيَّ كان يؤكد لي أن أنفي تعايش مع تلك الروائح، وليلاً حينما كان الهواء يحرك أحد الأبواب ويصدر صريرًا لم أكن أميزه عن صوت رئتيَّ أحيانًا.

سيطرت عليّ فكرة الرائحة، وعدم قدرتي على التمييز، كنت أقرَّب كوب الشاي الساخن من أنفي، وأستنشق البخار، فأشعر بسعادة بالغة حينما تتسلل الرائحة- وإن كانت خافتة- إلى عقلي، سيطر

fb/mashro3pdf

عليَّ هاجس أنني أفقد- بالتدريج- حاسة الشم، وصارت عادة لي شم كل الأشياء في محيطي، ملابسي، وأحذيتي، وأطباقي، وحقائبي، وسريري، كانت الرائحة تفلت إلى عقلي أحيانًا ولكنها- معظم الوقت- كانت تتوقف أمام جدار وهمي قبل أنفي مباشرة. اعتدت أيضًا عدم تنظيف أسناني. في الماضي بقاء نسيرة لحم أو حتى حبة أرز، بين سنَّتين، أو داخل تجويف ضرس كان يؤذيني، ولكنني أتعمد الآن تركها حتى تتعفن، ثم أنتزعها واضعًا إياها بالقرب من أنفي، ذلك هو الشيء الوحيد الذي كان يؤكد لي أنني ما زلت أمتلك حاسة الشم. رائحة التعفن كانت أقوى من كل الروائح الأخرى، كانت نفَّاذة وحادة، وفي اللحظة التي تخترقني أغلق عينيَّ كأنني أشم رائحة عطر ساحرٍ ينبعثُ من امرأة جميلة. طورت بمرور الوقت، من قدرتي على استخلاص روائح "التعفن" بأقل عدد من الحركات، وفي أقصر وقت ممكن، إذ أنني أكون أحيانًا وسط زملاء العمل، في الشقة أكون على راحتي، وأتعمد عدم الاستحمام لساعات طويلة ثم أضع إصبعًا تحت إبطي مستخلصًا العرق من غابة الشعر الكثيفة ثم أُقربه من أنفي، ثم صار الإصبع اثنين وثلاثة، أصبحت نهمًا للرائحة العفنة، ثم اتجهت إلى خصيتيَّ، كانت رائحة العرق اللزجة المنبعث منهما نفاذةً، وكانت مرة واحدة في اليوم كافية لإبعاد الهواجس عن رأسي، كأنما أُلقي حجرٌ باتجاه شجرة فتهرب كافة العصافير التي تستريح بها.

في بعض الأوقات كنت أستحم خاصة قبل ممارسة الجنس مع جارتي، كانت تحرص على نظافتها، ولكنها كانت تتعرق بشدة،

fb/mashro3pdf

وكنت أختلس ضربات منظمة من أصابعي إلى جسدها ومنه إلى أنفي، وكنت أشعر بمزيد من الإثارة لو كانت الرائحة قوية، أو أتعمد إنهاك جارتي، وقد أصبح التأخير عنوانًا لممارساتنا، خاصة وأن عقلي مشغول أكثر بهواجسه، ولاحَظتْ هي الأمر مرة وسألتني إن كانت رائحتها غير نظيفة فقلت لها إنها المرأة الأكثر نظافة على الأرض، ولكنها عادتي، وهكذا كانت تُمعن- خلال المرات التالية- في النظافة، وأمعن في إجهادها حتى تتعرق وتغرق الملاءة أسفلنا.

تفننت- بعد ذلك- في إيجاد الروائح العفنة، من بقايا أنفي، ومن العرق الذي يسيل من رأسي، ومن أصابع قدمي، وأبحث عن الصمغ في أذنيّ، وكنت أترك بقايا الطعام في الأطباق حتى تتخثر، ثم أبدأ في تنظيفها بأصابعي، حتى أحشو أظافري بها وأشمها. كانت علب الطعام منتهية الصلاحية منتهى سعادتي، وحينما كنت ألقي أكياس القمامة السوداء خارج شقتي- بعد أن تصبح مثل جثث- يبدو الأمر كأنما أُشيِّع أعزاء إلى مثواهم الأخير. ولكن وسط هذا، فجأة، وأثناء عودتي من العمل ذات مرة، عاد أنفي إلى العمل والتمييز، عدتُ إلى شم الروائح بجلاء، شممتُ رائحة البهارات، وأيضًا ميزتُ رائحة الجبن، وقربتُ أنفي من قميصي فهزتني رائحة عطري، بدت قاتلة بوضوحها، كنتُ أميزُها في السابق من بعيد، ولكنها الآن تجلدُني بحدتها. قررتُ في تلك اللحظة ألاَّ أستسلم. نزلتُ مسرعًا إلى الشارع، وسرتُ حتى منطقة قريبة، حيث مجموعة أخرى من البنايات الكالحة وأسفلها نهر من المجاري تحوم فوقه بقليل مملكة من الذباب، اتجهتُ إلى الأحجار المتناثرة

fb/mashro3pdf

التي يستخدمها السكان في التنقل، وتوقفتُ في منتصف النهر، ثم أغلقتُ عيني، وأخذتُ نفسًا عميقًا.

fb/mashro3pdf

الأمور السيئة

جاءت السيارة في موعدها كما فكرت بالضبط، كنت أسير في اتجاه بركة مياه تجمعت في منتصف الشارع بعد يوم ممطر طويل. كان يمكن أن أتوقف قليلاً حينما رأيتها تأتي من بعيد، ولكنني مع هذا اخترت أن أكمل، وفي ذهني أن قائدها سيتوقف حينما أكون بمحاذاة بركة المياه أو على أقل تقدير سيُبطئ، ولكن في اللحظة التي صرت بمحاذاة البركة، وفي أثناء صعودي على الرصيف لأعبرها، جاءت السيارة بنفس سرعتها وداست المياه بقوة فأغرقتني من رأسي إلى قدمي. الآن لا أستطيع ندب حظي، لقد اخترت مصيري وعليَّ أن أرضى به، ولكن ما لم يعجبني أنني لمحتُ سائق السيارة أو بالأدق ذراعه من السيارة، وتبينتُ أنه يرفع لي وسطاه. ماذا فعلتُ معه ليعاملني هكذا؟! الآن صرتُ متيقنًا من أنه كان يتمنى أن أُكمل طريقي وأصبح بمحاذاة البركة حتى يُكمل المشهد الذي يتمناه.

لستُ من هذا النوع الذي يستيقظ صباحًا ويندب حظه السيئ. لا أرى الغيوم في بلد مشمسة كبلدنا نذير شؤم، ولا أفكر أن فردة حذاء

fb/mashro3pdf

مقلوبة تعني أن اليوم سيكون كارثيًا. بإمكاني أن أشعر بأنني المقصود تحديدًا من هطول الأمطار في ذلك اليوم، ولكنني لا أفعل. أخرجت علبة مناديل من حقيبتي وبدأتُ أمسح الطين عن وجهي. بالطبع لا يمكنني الذهاب إلى العمل هكذا، أخرجتُ الموبايل واتصلتُ برئيسي وأبلغته بما جرى، لكنه ظل يهتف في الموبايل "آلو.. آلو!"، ثم أغلق الهاتف، وحينما كررتُ الاتصال امتنع عن الرد. لقد كان بالتأكيد يرفع عن نفسه الحرج أمام رئيسه بسبب عدم حضوري. لو لم أذهب الآن سيحولونني إلى التحقيق. فكرتُ أنني شخص لا يعرف اليأس. أنهيتُ رسالة نصية إلى رئيسي وحينما ضغطتُ زر الإرسال شعرتُ بأنني انتصرت عليه، بل إنني بالغتُ في الأمر وأغلقتُ الموبايل حتى لا أرى اتصالاته أو رسائله. الآن سأبدأ يومًا جيدًا. سأحضر الشوكولاتة التي تحبها ابنتي، وأعود إلى المنزل. اتجهتُ إلى السوبرماركت وكان هنالك رجل مُكوَّر يقف، كل شيء فيه مكوَّر، كرشه، ووجهه، بل إن عينيه تبدوان كعُملتين معدنيتين متساويتين، وشاربه يصنع نصف دائرة على فمه. اتجهتُ إلى ثلاجة الشوكولاتة وعدتُ بإحداها وسألتُ عن السعر رغم أنني أعرفه. كنتُ أرغب في سماع صوته، ولكنه فاجأني بصوت رفيع: "ماذا تريد؟"، أشرتُ إلى قِطع الشوكولاتة التي تقبع في كيس أحمر، وعاد ليسألني مجددًا: "ما اسمها؟!"، ضحكت، ولكنَّ عينيه الدائريتين استمرتا معلقتين بي دون أن ترمشا، كأنه يعرف أنني لا أجيد نطق اسمها. كان يمكنني النظر إلى الحروف اللاتينية ونطقها "مالتيزر"، ولكن دهشتي وربما ضيقي كانا أكبر من ذلك، وصحتُ: "قلتُ لك إنني

fb/mashro3pdf

أريد هذا!"، وأغلَقَ عينيه وقال لي: "لن تأخذها حتى تنطق اسمها"، رددتُ وأنا أشعر بموجة توتر عنيفة تُصيبُني "أنت مجنون بكل تأكيد!"، غادر مكانه ورأيتُه يتدحرج باتجاهي وقبض على كتفي بكف غليظة وشعرتُ بأصابعه تسحق عظام كتفي: "الآن لن تأخذها ولكنك ستنطق اسمها"، صرختُ مع ضغطه "مالتيزر!"، وطلب إليَّ التكرار وبدأت أصرخ "مالتيزر.. مالتيزر.. مالتيزر!". جريتُ إلى الجانب الآخر وفاجأتني سيارة بعبور البركة وأغرقتني مجددًا. ثم رأيتُ وسطى السائق، وانتبهتُ إلى أنها نفس السيارة. لم يكن أمامي مجال سوى المنزل الآن. كنتُ غارقًا في شعور بالرعب، وبهيئتي المتسخة تلك رفَضَ كل سائقي التاكسي توصيلي، ربما ظنوا أنني خارج لتوي من بالوعة. اعتراني شعور غريب بأن المدينة تلفظني، ونظرًا لإيماني العميق بأننا من نَصنع الأمور السيئة أو الجيدة قررتُ تكرار الأمر مع أقرب سوبرماركت، وأمسكتُ بالشوكولاتة وقلتُ للشاب الذي يبتسم لي "مالتيزر!"، ولكنه تجهم فجأة: "لماذا تصرخ، أنا أسمعك، ثم لماذا تنطق باسمها؟"، ازداد شعوري بالغرابة والبائع يسأل "كم ثمنها، إذا كنت تعرف كل شيء.. قل ما ثمنها وإلاَّ لن تأخذها". في تلك اللحظة أقدمتُ على تصرف غريب لم أعتقد أنني سأُقدم عليه أبدًا، أمسكتُ بالشوكولاتة وفتحتُ الكيس بسرعة وألقيتُها بقوة في وجهه وجريت إلى الشارع، كنت أجري دون أن ألتفت خلفي، حتى وصلتُ إلى ميدان "حديقة المبدعين"، وتوقفتُ لحظة لأتخذ قرارًا أي شارع من الشوارع الثلاثة سأسلُك، ولكنني فوجئت بأن الشوارع غير موجودة، الميدان مُصمت تمامًا إلاَّ من الشارع الذي جئت

fb/mashro3pdf

منه. كان نفس الميدان الذي أحفظ أشجاره واحدة واحدة، ولكن لم يكن هناك بائع الكبدة، ولا سيارات مركونة، ليس هناك إلاَّ أنا وخلفي سور "حديقة المبدعين"، نظرتُ باتجاه الشارع الذي جئتُ منه، ورأيتهم يأتون باتجاهي، البائع الدائري، والبائع الشاب، والسيارة التي أغرقتني مرتين، وإصبع السائق الوسطى الذي يتحرك أعلى وأسفل، واجتاحتني موجة من الغضب.

fb/mashro3pdf

شبح الفول الأخضر

كان شارع ٩ مُظلمًا بعد الثانية صباح جمعة، تحسستُ جيبي على أمل أخير بأن أجد مفتاح الشقة، طرقتُ باب الشقة اليسرى من الطابق الأخير طرقات خفيفة، سمعتُ صوت حركة، كنتُ أخشى أن أوقظ زوجة صديقي، فتح الباب، أطلّت نظارته في البداية وبعد أن تعودت عيناي على الإضاءة الخفيفة المنبعثة من مصباح خلفه رأيتُ ابتسامة مرهقة تطلّ منه، أفسح لي المجال للدخول بدون كلام، كان يرتدي بيجامة مقلّمة، ابتسمتُ لأنني تخيلته خارجًا من فيلم قديم، نطق بكلمتين غير أنني لم أتبينهما بسبب نباح سريع انبعث فجأة من غرفة جانبية.

- عندك كلب؟!

- دينو في شقة الجيران!

غمغمت بكلمات اعتذار عن إقلاقه بعد ضياع مفتاحي، هزَّ رأسه بما يعني لا عليك، اتجهتُ إلى الغرفة الجانبية مُتَتَبِعًا إشاراته، حمل كتابين

fb/mashro3pdf

من الكنبة وألقى المسندين إلى الأرض، أضاء مصباحًا صغيرًا، تبيّنتُ الصور المعلقة على الحائط المواجه لمدخل الغرفة، شدّتني صورتي التي أضع يدي فيها على صدري، حاولتُ أن أتبيّن التعبير على وجهي، أو تذكّر لحظة التصوير. في اللحظة التي نشعر فيها بأن هناك من سيلتقط لنا صورة، من سيثبّتُ زمننا وملامحنا في كادر.. *يدخلُ عنصر التصنع*، يبدو مثل موجة تتصاعد من مخبئها بالأعماق إلى الملامح، تُغيّر شيئًا ولو طفيفًا من تلك الملامح مهما حاولنا أن نبدو تلقائيين.

- أنت التقطت لي الصورة؟!

- ذاكرتك ضعيفة!

تَبَدَلَ صوته في الإجابة إلى صوت أنثوي، كانت زوجته تقف مستندة إلى الباب، ضحكتُ وقد زال اللبس الخاطف.

- أنتِ؟!

وقبل أن تجيب استطردتُ: كنا في معهد العلوم البحرية!

ضحك ثلاثتنا، وبخلاف الضحك كان هناك الإرهاق المشترك، ألقيتُ بنفسي فوق الكنبة، وقالت هي: احترس من شبح الفول الأخضر!

ضحكتْ وانصرفتْ، فيما شددتُ ذراعه: شبح الفول الأخضر؟!

بدأ يحكي لي وهو يضحك عن الشبح الذي يتجوّل بحرية في الشقة ويطفئ أضواء المصابيح، في الأغلب يرونه حينما يُمعن النظر إلى نفسه

fb/mashro3pdf

أمام مرآة غرفة النوم أو الحمام، رأسه الطويل وملامحه الشاحبة الخضراء جعلاهما يُطلقان عليه لقب "شبح الفول الأخضر" موطنه الأساسي ينبغي أن يكون في زراعات الفول الأخضر لا شقة بالمعادي.

حاولت أن أستشف ما يخبئه وراء ابتساماته المتواصلة التي يقطعها ضحك خفيف، جال بذهني أو أردت تصديق أنه يمزح، غير أن ملامحه اكتست فجأة بالجدية:

- المهم أنه لا يؤذي!

واستدار مغادرًا غير أنني شددتُ ذراعه، التفتَ ضاحكًا، وأخبرني أنه- الشبح- سيحترم فكرة أنني غريب في الأغلب، كما يحترم خصوصيتهما الزوجية، كنتُ أعرف جيدًا أن صديقي له خبرة مناسبة بعلم النفس تجعله يستطيع اللعب معي في هذه المناسبة، فبدلاً من أن تبث كلماته الطمأنينة فيّ أشعلت مخاوفي الدائمة. كانت تخرج في لحظات الوحدة، وخاصة حينما تسافر زوجتي إلى أهلها، كنتُ أحدد إقامتي بالشقة في كنبة الصالون المواجهة للتلفزيون، وذهابي إلى الحمام يكون بحساب كما أنني أترك المنزل مضاءً في الصباح حتى لا أتعرّض لوساوس الظلمة حينما أعود مساءً. نبح كلب الجيران نباحًا متقطّعًا، وكان النباح يأتيني من خلف صديقي، قلتُ أنني سأذهب إلى الحمام وعليه أن ينتظرني حتى أنتهي، تحاشيتُ النظر في المرآة، وحاولتُ أن أبدو متماسكًا غير أن رعشة خفيفة أفقدتني القدرة على التصويب وتناثر الرذاذ خارج قاعدة الحمام، ثم رعشة ثانية وجّهت الرذاذ إلى

fb/mashro3pdf

"البنطلون"، أغلقتُ "السوستة" بسرعة، وملأت كفيَ بالماء من "حنفية" الحوض ورششتُ على المكان الذي تناثر عليه الرذاذ وكررتُ ذلك أكثر من مرة، واضطررتُ إلى استخدام "المسّاحة" لدفع المياه التي سقطت على الأرض إلى فتحة البالوعة، قفز إلى ذهني شبح كانترفيل وأنا أمرر يدي المبتلة على المكان المصاب برشاش البول في "البنطلون"، قد تنتهي الهواجس لو أنني أقنعت نفسي بأنني يجب ألاَّ أكون أقل شجاعة من الطفلين اللذين حوّلا حياة الشبح الدوق إلى جحيم، لن أفاجئه في المكتبة، ولن أختبئ له خلف ستارة وأفاجئه بـ"جردل" مياه متسخة في وجهه، غير أنني يمكن أن أضحك بسخرية وأتحدث في مواجهته عن لونه الأخضر الشاحب لو أنه تجرأ على مواجهتي. شعرتُ بأنني وصلت إلى مرحلة الهذيان وتكفلت الرعشة الجديدة بتحريك يدي تجاه باب الحمام الذي تركته مواربًا. لم يكن صديقي واقفًا كما اتفقنا، شعرتُ بالغضب الذي بدد قليلاً من المخاوف وتحركتُ سريعًا تجاه الغرفة قاطعًا الممر الطويل ودستُ على شيء طري في الأرض ومع انتفاضة مباغتة- لم أستطع منعها رغم تأكدي من صدورها- خبطت المصباح الاسطواني وتحركتُ بطريقة البالارينا حتى أوقفها في الهواء، ولم أستطع، ووصل إلى سمعي صوت شواء، خمنتُ أنه لحشرة كانت تختبئ خلف لمبة "الهالوجين" غير أن تحرُّك المصباح أفقَدَها توازنها وجعلها تصطدم باللمبة الساخنة. كان صوت الارتطام بالموكيت مكتومًا، وتركزت الإضاءة التي امتدت موازية للأرضية على وجه لعبة لحيوان يجمع بين ملامح الأرنب والدب، وكانت عيناه السوداوان مركّزتين في وجهي، ضغطتُ

fb/mashro3pdf

على بطنه للتأكد من أنه الشيء الطري الذي دسته. أعدتُ المصباح إلى وضعه وتحركتُ بسرعة إلى الغرفة. مددتُ جسدي على الكنبة وطالعتُ صورتي من بعيد. اتسع جزء من الصورة وبدت إضاءته قوية، نهار لحقل كبير يمتد في الجهات الأربع، ورائحة الفول الأخضر القوية، وزهوره البيضاء المتفتحة، بينما الجد يضع "عمود" الطعام على مفرش أزرق نظيف ويُخرج منه قطعتي جبن قديم، وزوجته تحضر كمية من الفول الأخضر وأرغفة العيش الشمسي على طرف المفرش. ضحكتُ وبدأتُ أصغي إلى صوت نبضاتي التي ينقلها الفراش من ذراعي إلى أذني، ركزتُ في موجات الظلمة التي كانت تتبدد سريعًا في مواجهة إضاءة المصباح الضعيفة، صوت النباح المتقطع، حوار بين اثنين بدا صوتهما عاليًا عند عبورهما المدخل وخَفُتَ قبل أن يتلاشى، وفي هذه اللحظة قلتُ أهلاً بصوت خفيض، لا أثر فيه للخوف، وأنا أنظر إلى الظل الشاحب، لشبح يضع يده على صدره، قادمًا من حقل الفول الأخضر في صورة على جدار.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

غربـــان

"نحن الغربان جمعنا عاقل"

على القرب وقف الغراب يفكّر كالعادة في الهرب من ذلك الموقف الذي وضع نفسه فيه، بالأمس فقط كان يستمتع بحياته الطبيعية كأي غراب شاب، خطف أكثر من ثلاثة فروخ وعاد بها إلى أبيه الذي قابل ذلك باستحسان كبير، لم يعد أمامه مفر من التفكير جديًّا في الهرب، ولكنه سمع جده يتحدث ذات مرة عن أنّ كل محاولات الهرب تفشل تمامًا لأن القبيلة تستنفر طاقتها لمطاردة الهارب، الأمر الأكثر إيلامًا للغراب هو أنّ الأسرة في سبيل تحقيق الطهرانية ستُصبح في مقدمة صفوف المطاردين، والطهرانية تم انتزاعها من فكرة الجماعة، لو أنّ الأسرة لم تُرد لتاريخها أن يظل ناصعًا لتركت المذنب يهرب، ولرفضت صفة الذنب التي ستلتصق به، ولساعدته على ذلك، ولربما هربت معه، أو وقفت على الأقل في خانة الحياد، ولكن الأسرة التي تبحث عن الطهرانية تتحول إلى قاتل قد يؤلمه قتل فرد من صلبه في سبيل أن يعيش

fb/mashro3pdf

الباقون بثياب لا تلوثها الخطايا، ولكن ما الأهمية التي يجنيها ميت من الحزن عليه؟!

فكروا مثلاً- وكان الغراب لا يقوى على نطق ما يفكر فيه وإن كان يعلم أن شيوخ القبيلة قادرون على قراءة ما يدور بعقله جيدًا- في نوح الذي نادى ربه وطلب الشفاعة لابنه الظالم، حتى وهو يعلم أن الاستثناء ظلم لا يليق بنبي أن يطلبه، كان يمكن كتابة تاريخ جديد للابن على أرض سيتم تلويثها إن آجلاً أو عاجلاً.

رأى ابتسامات الشيوخ وخمّن أنهم يقولون له لا تفكر في الأمر فنحن لسنا أنبياء، كما أننا لا نملك شرف مناداة الرب ولا إجابته، وكانت المسكينة ميتة على الأرض أمامه، خليطًا من الريش الأسود والأبيض وخبطات المناقير التي خلّفت لون الدم القاني!

كثيرون ماتوا أمامه ولم يكن يرتعد مثلما يرتعد في تلك اللحظة، ربما كان منشأ الخوف في نفس كائن هو إقباله على تجربة لا يعرف ماذا تُخبئ خلفها، نحن لا ندري أين يذهب جسدنا بعد أن يواري التراب، يقولون إننا سنُبعث يوم القيامة وسيقتص كل منا من الآخر قبل أن تحل الصيحة ونصير ترابًا مرة أخرى، أليس في هذا داعيًا إلى أن يفهم الشيوخ أن الحياة لا تحتمل التأجيل، أننا يجب أن نستمتع بالحياة لدرجة أن لا نلتفت إلى ضرورة الحفاظ على الأنساب؟!

كان غرابان يتعاركان، وقتل أحدهما الآخر ونبش الأرض بقدميه، ووارى جثة أخيه، وهكذا فعل قابيل مع هابيل. الخطيئتان

fb/mashro3pdf

حدثنا في توقيتين متقاربين، فأي شر ذلك الذي يجعلنا على قدم المساواة مع البشر، إنهم يعيشون في الأغلب حتى السبعين، وهو العمر الذي نحياه نحن أيضًا، ولكننا أعلى منهم منزلة بحكم أننا نملك الجو ونراقبهم من الأعالي، ونشاهد أخطاءهم غير أننا نكررها، مع الاعتراف أنهم قد يكون لديهم كل الحق في كراهيتنا، ألسنا من نغير على أفراخهم؟!

في لحظة تفكير مماثلة كانت الجميلة على شجرة جميز وكان زوجها غائبًا، وناداها فالتفتت وهزت جناحيها بترحيب، وكان الجميع مشغولين بالانقضاض على الحقول المجاورة ومنازل الفلاحين، وكان يشعر بالنشوة من جرَّاء غنائمه في اليوم السابق، وكان يعلم أن أباه لن يسأله عن رزق جديد مكافأة لإخلاصه للأسرة، وفي عشها الدافئ فكر في قريبته التي ستصبح زوجته قريبًا، غير أنه لم يُعرها سوى ثانية أو ثانيتين قبل أن يطردها من ذهنه، وما ساعده أكثر هو السخونة التي خلَّفتها الجميلة في جسده وهي تهز مؤخرتها وتتمايل في العش الوثير الذي تطايرت عيدانه الخفيفة وضربت ملامحه الفتية وألهبت مشاعره. كان يفكر في درجة الثبات التي اكتسبها من ثباتها، فَكَرَ في أنها تعلم يقينًا أن زوجها سيعود لا مفر، وفكرة قتله على يد فلاح مستبعدة إذ أن هذا نذير شؤم، ولم يحدث قبلاً إلاَّ مرتين كان القاتل فيهما أحد المعتوهين، في الأولى كمن وراء شجرة جوافة وهاجم مجموعة من الأصدقاء الذين كانوا على مقربة من عش حمام وانهال بفأس على رقبة أحدهم، كان معهم وانتظر فترة طويلة حتى يذهب الرجل قبل أن يهبط مع الباقين ويعودوا بجسد المسكين المشطور إلى نصفين غير متساويين، والثانية

fb/mashro3pdf

حينما ألقى حذاءه الضخم على شيخ فأصابه ولم يقو على الطيران، وانتهى به الأمر في قاع بركة.. ومع هذا فإن العودة لا تكون إلاَّ بعد وقت معقول، يحتاج الغراب في الأغلب إلى زمن للتجهيز، كُمُون، ثم انقضاض قد يفشل، وهو ما يستدعي كُمُونًا فانقضاضًا مرة أخرى.. الأمر لا يخلو من سيدة أو طفل يمسكان بمقشة سعف ضربتُها شديدة الإيلام، وهذا الزمن كفيل بمؤانسة سيدة تفتح قلبها لغراب جديد، ولكن كل قصص المؤانسة من هذا النوع تكون مثيرة وتسيطر على الجسد وتجعله غير قادر على الإقلاع عن العادة بسهولة، يظل الغراب الشاب يكرر غزواته في غياب الزوج، حتى يشاهدهما يتقلبان على فراشه ذات مرة، تنظر إليه الزوجة بذعر العالم، وتعتري الشاب رجفة من يرى مجلس التأديب النهائي، رعشة اللذة تتحول إلى رجفة، وهكذا فإن الغراب يصبح أسيرًا للغة. كان يمكنه الطيران عائدًا إلى منزله ليخبر أباه بأنه لم يصطد شيئًا لأن الفلاحين كانوا متيقظين جدًّا، ويستمع إلى محاضرته الممتزجة بالتوبيخ عن غربان المدينة الذين يعانون مع أشخاص أكثر مكرًا من الفلاحين، هناك مواد يطلقها هؤلاء على الغراب، فيسقط في الحال مُحترقًا، الفكرة القاسية لأي غراب في المدينة هي أن المدينيين لا يُلقون بالاً إلى حكاية نذير الشؤم..

سيطرت عليه هواجس الألوان، نظرَ إلى بطنه الأبيض، وريشه القوي الأسود، وشعُرَ بالألم لأن الطبيعة هي الأخرى أسهمت في توجيه حياة الغراب، الأسود والأبيض لونان قاطعان بينهما تغرق حياة الغراب في قوانين حادة لا تقبل التجاوز، وهناك كبار دائمًا، حفظة بررة، لا

fb/mashro3pdf

يسمحون بالاستثناء، الاستثناء يكون لطيور أخرى، لكن ألم يفكر أحد الحكماء في الثورة على الحياة التي رسمت هذه الصورة القاطعة للغراب، الصورة التي جعلته أكثر الكائنات تميزًا على وجه الأرض، حتى التميز يكون مأساة لصاحبه إذا كره فكرة النمطية..

في الوقت الذي كان يهرب فيه باتجاه حقل بعيد لاحقه الأب، كان صارمًا ومن عينيه يُطل الموت، ونَقَرَهُ في رأسه نقرة هائلة فشَعُرَ بالدوار والألم، وكان الألم يتضاعف بفكرة أنه الأكثر إخلاصًا في القبيلة لصاحب النقرة. أجبَرَهُ الأب على الدوران..

في الأسفل كانت قطة ذات لون بني تمدد جسدها تحت الشمس..

كلب بني منقط بالأبيض يتحرك بخفة وراء منزل طيني ليهاجمها..

صبي أبيض يرتدي جلابية مخططة بالأخضر والأزرق ويضع قدمه فوق كرة بلاستيكية حمراء وهو يراقب ما ستسفر عنه المعركة المتوقعة بين الكلب والقطة..

سيدة بيضاء تحمل حُزمة برسيم ضخمة متوجهة إلى بقراتها الصفر..

رجل أسمر يركب حِمَارة بيضاء ويسير بها في خط ترابي متعرج..

كتاكيت صفراء، ودجاجات بيضاء وديك ذو عرف أحمر قان مشرئب ويصيح صيحات متوالية..

مساحات خضراء داكنة..

fb/mashro3pdf

مساحات خضراء فاتحة..
مساحات صفراء..
مساحات ترابية تناثرت عليها بيوت طينية..

عاودته الرجفة مرة أخرى، كان يعلم أنهم ينتظرون طيرانه، لا أحد يبادر بالهجوم إطلاقًا، حتى في المحاكمات هناك تقاليد، لو أنه انتظر أيامًا لن يتحرك أحدهم، لم يستطع أن يلمح أمه، لا ريب أنها اختارت زاوية يصعب عليه رؤيتها، هل تشعر بالحزن الآن؟!

اتخذ قراره وندت عنه حركة بسيطة، فاهتزت كل الأجنحة وصنعت هديرًا من أمواج الهواء المخيفة، بدأ في الصعود رويدًا رويدًا، ورآهم يحيطونه في حلقة واسعة، كانت تضيق عليه كلما أسرع، ضاقت الدائرة وبدأت النقرات، وشعر بالابتهاج، حينما شاهد أول قطرات حمراء تسقط على المساحات الترابية التي تناثرت عليها بيوت طينية..

الألم تصاعد في المساحات الصفراء..
وعلى البعد لاحت مساحات خضراء فاتحة..
تليها مساحات خضراء داكنة!

fb/mashro3pdf

قابل للكسر

لم يسبق لهذا الشعور بالفتور أن تسرب إليه. هذا يعني أنه يئس أخيرًا من تغير أي شيء، وكان في غرفته الرمادية الضيقة مُكَومًا على سرير هائش، بينما تحيطه العيون الواسعة الحيادية، والأيادي التي تمسك بالمشارط. كان ضوء النيون يتناقض مع المشهد الذي يبدو له كابوسيًّا. ذلك الرمادي يحتاج إلى مصباح ذي ضوء ضعيف، يحتاج إلى شمعة بعيدة، أو لمبة هالوجين في نهاية عمرها، وكان ضوء النيون يعميه عن أفكاره، أو على الأقل يعوق انسيابها، ولكنه حينما شعر بالفتور استسلم تمامًا، وشعر بارتياح عميق، وتساوت في تلك اللحظة كل الأمور المتناقضة، التي يمكن قياسها بين قطبي الحياة والموت، وكل السيناريوهات المقبلة، التي ربما خمن بعضها، ولا يعرف بعضها الآخر، وأخيرًا قرر الابتسام، ورغم أنه لم يجرب سابقًا التدرب على شكل للابتسامة، لكنه قرر أن تكون أنيقة تناسب وسامته التي تكاد تختفي خلف إرهاق خلفته ليال طويلة من المشاعر المختلطة، الكثيفة، اللزجة، أنيقة وساخرة، ولكنها، كما فكر، خرجت حيادية.

fb/mashro3pdf

في تلك اللحظة شعر بأنه أصبح عضوًا في مجموعة العيون الواسعة، التي تقترب منه. لو كانت ترفُّ حتى، لجعلته يستقر في السابق على فكرة ما حول ذلك الحصار. لخمن كيف يفكر أصحابها فيه، على الأقل لبدوا له بشرًا عاديين، سيفكرون- لحظة ما- في ما اقترفوه، حتى ولو لم يشعروا بالندم. وكان يشعر بأفكارهم تخترقه وتطبق على أفكاره وتجمدها لتصبح حروفًا مكتوبة بالأسود، تتوقف الحروف وحينما يتراجع حصارهم تسقط واحدة تلو الأخرى لتصيبه في رأسه. لقد تركوه أيضًا يستمع إلى أصواتهم، وكانت تلك الأصوات تعلو وتنخفض رغم أن أفواههم لا تنفتح. ليست قصة كابوسية تلك، ولن تكون، لأنه لا يسمح لنفسه بأن يكون عرضة لكاتب مريض بالهلاوس، لا يسمح بأن يكون فكرة يكتبها الآخرون، لأنه ببساطة أحد من يكتبون هذا العالم.

في السابق سمحوا له بأن ينظر من غرفته عبر النافذة الصغيرة الوحيدة ورأى شخصًا يرقد فوق سرير هائش في غرفة رمادية، وللحظة تصور أنه ينظر عبر مرآة، وحينما حاول أن يتحدث لم يخرج صوته، أو خرج ومع ذلك لم يثر انتباه مجموعة العيون التي تحيط شبيهه. كانوا يُضيِّقون من حصارهم حول ذلك الشخص، ولكنه كان يتراجع إلى آخر نقطة في السرير. لقد عبر بهذا الموقف سابقًا. كانت الأحداث في الغرفة الأخرى تسبقه بقليل، وكان يستطيع أن يعرف مصيره بالصورة لو أنه استطاع المقاومة قليلاً ونظر عبر الشباك في تلك اللحظة. يتمنى فقط ألاَّ ينجح ويرتد خائبًا كشخص وصل إلى شباك التذاكر في اللحظة الأخيرة ليقول له الموزع إن الشخص السابق حصل على آخر واحدة.

fb/mashro3pdf

سيستيقظ الآن.

ازدادوا اقترابًا ومع كل خطوة مدروسة كان ضوء النيون يزداد قوة. لا يريد أن يناقض نفسه. لقد قرر أن يترك نفسه للفتور، والمغامرة قد تعطيهم الحق في الإحساس بالانتصار. ألن يظهر مثل فأر تجارب؟ ليس هذا مثالاً دقيقًا، يقول لنفسه، ولكنه فشل في أن يتوصل إلى مثال آخر.

لو كانوا يريدون قتله من اللحظة الأولى لفعلوا، عاد الآن إلى التفكير مجددًا، مناقضًا نفسه، لقد سمح لأفكار أخرى أن تضع ساقًا بجوار جسد الفتور البدين. يا لبشاعة التشبيه. لقد تحركت آلة الأفكار العملاقة والتروس المتداخلة تعمل وتحتك وأسنتها المرعبة تهدر في رأسه.

بدأت أيديهم تمتد إليه، والمشارط تخترقه. عليه أن يعترف بأن إحساسًا بالرعب ينتابه الآن لم يشعر به في حياته، ولكنه شعر بمتعة غريبة مع كل ضربة مشرط تخترق جلده، شعر بنشوة جنسية، وفكَرَ، لو أنَّ هذه آخر لحظاته، أن يستمني، وأن ينثُر حيواناته، في تلك العيون، ربما ترمش، ولكن المتعة صارت عاصفة تجتاحه، عاصفة يريد أن تغرقه إلى ما لانهاية. لقد شعر بالقوة تدب فيه من جديد. صار بإمكانه أن ينهض في تلك اللحظة بأقل مجهود. شعر بالسكينة، ولم يكن ينتبه إلى الدماء التي تنزف منه، ولا عظامه على السرير، ولم تكن قدماه تلامسان الأرض، شعر بالسكينة واتجه إلى ركن الغرفة حيث تلك الكرتونة المربعة الضخمة، وقفز داخلها، وانتبه في تلك اللحظة إلى

fb/mashro3pdf

مجموعة من الكراتين مصفوفة في الجانب وعلى كل منها عبارة "قابل للكسر".

fb/mashro3pdf

شجرة نائمة

الشجرة أكبر من تلك الفتاة ربما بثلاثين عامًا.

الشجرة بدأت تميل منذ عشرة أعوام. في الصباح الذي وُلدت فيه الفتاة لاحظنا جميعًا حركتها باتجاه الأرض.

كانت الجاذبية تفعل مفعولها.

ولم يتحدث أحدنا مع الآخر.

كل منا كان يفكر مع نفسه، واستولت عليَّ فكرة وحيدة، بما أنها بدأت تميل يوم ميلاد الفتاة، فقد يعني هذا موت الفتاة في اليوم ذاته التي ستموت فيه الشجرة.

كانت الشجرة تقترب بهدوء من الأرض، لا نستطيع حساب حركتها لا بالزمن ولا بالحركة، إذ أن الكون يُغيَّر من نفسه ونحن نائمون. تمامًا كما نتغير ولا نلاحظ التغيرات التي تطرأ على ملامحنا، أو على ملامح من حولنا، إلاَّ إذا غادرناهم أو غادرونا فترة طويلة.

fb/mashro3pdf

كانت تريد الاستراحة نهائيًا، ولم يقو أحدنا على التصريح بذبحها، كلنا تواطأنا مع الأمر، وقررنا الابتعاد عنها حينما نخرج من بوابة البناية.

كانت تنام بهدوء على السور، وتُفتتُه، ببطء، وكان يبدو كأنما يقاوم فكرة السقوط من أجلها. سقوطه يعني سقوطها، وكان يتعامل مع الهشيم الذي يتناثر منه باعتباره زائدًا عن الحاجة.. إذا كان الأمر مُلحًا، تمامًا كما نتخلص من بعض أسناننا، متمنين أو محاولين على الأقل الحفاظ على الأخرى.

كلنا كان وحيدًا إلاَّ تلك الفتاة، وكان أبوها يدور عكس عقارب الساعة.

الفتاة ذات العينين الرماديتين كانت تمسك بيد أبيها يوميًّا ويخرجان بمحاذاة السور، متجهين بإصرار إلى الشجرة.

الفتاة كانت تشب على قدميها محاولة لمس نقطة أبعد من الشجرة، غير مكتفية بالأوراق المتدلية من السور.

وكان أبوها يُرَبت على الشجرة، قبل أن يكملا طريقهما باتجاه السوبرماركت، أو محطة الأتوبيس.

الأب كان أحيانًا يتوقف لينظر إلى بلكونتي، ولم أكن أتعمد إبعاد وجهي وأنا أنظر إلى وجهه متخيلاً أنني أرى عينيه الرماديتين، وكانت الفتاة تلوح لي، فألوح لها.

fb/mashro3pdf

لم أكن أعلم فقط لماذا كان ينظر إليّ بالذات دون الآخرين الذين يحدقون إليه من بلكوناتهم وشرفاتهم.

ولم أفهم أبدًا مشاعر ذلك الأب، ولا أعرف لماذا يُصرّ على السير بجوار خطر محتمل؟

إذا مات معها قد يرسمان لوحة يختلط فيها الأحمر بالأخضر بالأخشاب.

قد يُمعنُ الطبيبُ الشرعي في صورهما، وقد تتحرك مشاعره المحايدة، محاولاً فهم ميلاد تلك الصورة هنا في المشرحة.

وهل سيرانا الاثنان ونحن نقف حيارى، خليطًا من الملابس السوداء والملامح الباهتة؟

وهل سيعرف الأب أنّ الشجرة سمحت له بالتواجد في تلك اللوحة الجميلة، مع أنها كانت تخطط لاختطاف الفتاة بمفردها؟

بالقرب منا سقطت شجرة أخرى بدون تحذير.

النمل الأبيض أكل جذرها، فهوت كما تهوى "المنشة" على مجموعة ذباب.

كانت الفوضى التي خلقتها جميلة أيضًا.

حملوا الجثث، والسيارات، وتكفلت المناشير بالشجرة الضخمة.

fb/mashro3pdf

وعادت المدينة لطبيعتها كما تعود دائمًا، تاركة لنا فكرة.

أنا متأكد من أنهم جميعًا يفكرون كما أفكر، ولكنهم لا يتحدثون أبدًا، ولا أعرف هل مشاعرهم محايدة تجاه الفتاة، كما هي محايدة تجاه الشجرة، أم أنهم مثل جمهور المسرح ينتظر النهاية لينفجر في التصفيق. هل سيصفقون لأنهم انتظروا كل هذه السنوات، وأخيرًا يستطيعون العودة إلى أسرَّتهم، أم لأنهم تخيلوا المشهد الجميل، كما تخيلته؟

كانت العصافير تقف فوق الشجرة، وكانت تبتعد قليلاً حينما تقترب الفتاة وأبوها، وكنت أفكر في أن للعصافير ثقلاً، حتى ولو كان ضئيلاً. بالتأكيد كانت هناك نهاية لشجرة النمل الأبيض، أفكر في القضمة الأخيرة التي حولت ذلك الجسد الضخم إلى أضخم قاتل في مدينتنا.

النمل الأبيض يأكل، والعصافير تأكل وتلهو، واللهو أيضًا قد يسبب دمارنا.

كنتُ أراقب الفتاة وأباها من العين السحرية، وأتمنى لو يطرقان بابي. لو طرقاه فلن أداري فرحتي، وربما أقفز في مكاني عدة مرات، أريد أن يتمعنا في عينيّ، ليعرفا كم أحبهما، وكم ننتمي إلى بعضنا، يكفي أنني أفكر فيهما على مدار اليوم، لكنهما اختارا النظر والتلويح من بعيد.

كانت الجاذبية تسلب عقلي. كل لحظة أسقط في فجوة مواصلاً إلى طرف الكرة الأرضية الآخر، عائدًا بنفس القوة إلى الطرف الأول،

fb/mashro3pdf

والشجرة خلفي، تكاد تقتلني في كل طرف، غير أن المركز يشدها قبل أن تصل إليَّ. بالتأكيد تعاني الشجرة مثلي.

يومًا ما قررت أن أصيح في السكان وهم ينظرون من بلكوناتهم، مطالبًا بأن نتحرك قبل أن تقع الكارثة. كان لديَّ حل بسيط، أن نعمل على تقوية السور، في منطقة الضعف، ولكنهم تركوا أماكنهم مختفين خلف ستائرهم.

كنتُ أُصاب بالجنون حينما يحذف عقلي الأب من المشهد. كانت الفتاة تذهب أحيانًا إلى السوبرماركت بمفردها، وقد تقرر الشجرة في تلك اللحظة أن تستسلم للجاذبية، في لحظة يأس أيضًا من السور.

حاولتُ أن أقوم بالمهمة بمفردي.

لم يكن أحد يجيب على الهاتف.

الناس في الشوارع لا يرونني.

الأحجار ثقيلة جدًا.

ربما ليست ثقيلة ولكنها لا تستجيب ليدي.

فكرتُ كثيرًا في آخر قضمة للنمل الأبيض.

كانت الصورة تقويني وأنا أنهال بالبلطة على السور. أضرب وأضرب، وفي اللحظة المناسبة أجري.

هربت العصافير بعيدًا لتراقبني من بلكونات مهجورة كما يراقبني السكان من نوافذهم وشرفاتهم.

fb/mashro3pdf

جاءت القضمة الأخيرة ولكنني شعرت بها متأخرًا وهوت الشجرة فوقي وطبعتني في الأرض.

بعد قليل جاء عمال البلدية بمناشيرهم. أزالوها قطعة قطعة وتركوني..

وفي نفس الموعد كانت الفتاة تعبر فوقي يوميًّا..

تتطلع إلى السور المتكسر ثم إلى شرفتها وتمضي.

fb/mashro3pdf

ثمانية رؤوس

لم يعد هناك شك في أنني الآن- ولسبب غير معلوم- أعيش بكل هذه الشخصيات داخلي، قررتُ أيضًا أنني لست متفردًا بكل هذه التناقضات، فالكل قد يكون مثلي، تارة أُمثل دور الغبي، وأحيانًا أضطر إلى حلق ذقني يوميًا لأن فتاة أحبها ترغب في رؤية خدودي مثل ثديين أملسين بدون حلمات، ويصل الأمر بي أحيانًا إلى تقمص دور الشاب المتدين الذي يراقب ألفاظه جيدًا قبل نطقها، ويراقب الله في أفعاله، هذا لأن أشخاصًا مهمين يراقبون تصرفاتي.

قادني تفكيري إلى أنني أستطيع أن أعيش بعدد من الرؤوس، كل رأس يستوعب شخصًا محددًا من الشخصيات التي تملؤني، واكتشفت أنني أمتلك ثماني شخصيات- تحديدًا- وبالتالي أحتاج إلى ثمانية رؤوس.

خصصتُ ثلاثة منها لثلاث فتيات، وواحدة للشاب المتدين، وأخرى للموسوس الذي يكون متأكدًا مثلاً من أن باب حجرة نومه مغلق جيدًا ولكنه يعود ليتيقن من هذا عشر مرات، وواحدة للمُتأمل،

fb/mashro3pdf

ومثلها للأصدقاء الذين يتصورون أنهم امتلكوا العالم، أما الأخيرة- وهي ذات أهمية خاصة بالنسبة إليَّ- فلصاحب محل الزهور الذي أعمل به.. الغاضب دائمًا، الذي لا يكف عن ترديد "ذكريات الزمن الجميل" وتأكيد أصوله التركية.

استعمال رأس واحد فكرة سهلة جدًا، غير أنها تكلفني العودة كل يوم إلى المنزل لتبديل رأس برأس، كان شيئًا مرهقًا- على سبيل المثال- أن أظل طوال النهار بالرأس الذي خصصته لصاحب محل الزهور، ومن غير المعقول أن أقابل إحدى الفتيات به، كما أنني لو قابلت أحد أصدقائي صدفة وأصرَّ على أن نتحدث، أستأذنه في الذهاب إلى المنزل.

المشكلة الرئيسية التي كانت تواجهني هي صديقي الذى يسكن معي، حينما أخبرته بفكرة الرؤوس بدا مذهولاً واتهمني بالجنون، وتحدث بسخرية عن أنني تجاوزت حالة الفصام العادية إلى الفصام المتعدد (الثماني في حالتي)، ثم عاد ليسألني أين أضع الرؤوس؟! وجهته إلى دولابي، وفوجئ بالجماجم التي دبرها لي عاطل، وفي مواجهة ذهولي المتزايد قلتُ له إنني بالتأكيد لن أقطع رأسي وأستبدله بهذه الجماجم، لكنها سترسخ لي الفكرة التي أسعى إلى تحقيقها، سأزداد إيمانًا بأنني أترك خلفي كل مرة سبع شخصيات وأذهب إلى الحياة برأس واحد، مستمتعًا بقدرة فائقة على التفكير الهادئ الأحادي الذي لا يستدعي إجهادًا ذهنيًا!

مع مرور الوقت بدأ يقتنع بأنني أتعامل مع المسألة بشكل جدي، لدرجة أنه قرر في أحد الأيام سرقة الجمجمة التي خصصتُها لصاحب

fb/mashro3pdf

محل الزهور، ويترك لي ورقة على الكومودينو المجاور لسريري يقول لي فيها: "أرني ماذا ستفعل مع صاحب المحل، لقد سرقتُ الرأس الخاص به، تصرف على أساس إيمانك بأفكارك إذا كنتَ مؤمنًا بها من الأصل، أو اترك هذه اللعبة الغبية فورًا"!

هذا المجنون، لم يعرف حجم القلق الذي سببه لي بتلك الحركة، لقد انقطعتُ عن المحل ثلاثة أيام في انتظار عودته بالرأس، لكنه ظل خارج الشقة، كنتُ أشعر بأنه يراقبني، وكان صاحب المحل يتصل بي يوميًّا لُيظهر غضبه، تعللتُ بالمرض واضطر في النهاية إلى تهديدي بالطرد لأنه لا يستطيع التعامل بمفرده مع الزبائن، وعلى هذا الأساس، وخوفًا من قطع عيشي أخذت رأسًا- أي رأس- لأن المسألة لن تفرق طالما أن الأمور وصلت إلى الطرد. حدثت أشياء في طريق ذهابي أكدت لي أنني أحيا الآن بشخصية الموسوس.

استقبلني بتجهم، مارستُ عملي في البداية بهدوء، وفجأة وبلا مقدمات اختطفتُ علبة الكبريت من أمامه وجريتُ بها إلى الشارع، وألقيتها بعيدًا، وأجبرني على إحضارها مرة أخرى، وأكدتُ له أنني أُبعد عنه خطر الحريق هكذا، ولاحظ بعد دخولي المحل أنني أغلقت الباب وعدت للتأكد من إغلاقه جيدًا، أكثر من عشرين مرة تقريبًا.

بدا شديد الغضب، وشعُرت بالحرج، واستأذنته في الذهاب إلى المنزل والعودة بسرعة، وأقسمتُ له أنه في حالة موافقته سيجد شخصًا متزنًا.

fb/mashro3pdf

قررتُ استبدال الرأس بأحد رؤوس الفتيات، وعدتُ إلى المحل، سار الأمر كالعادة في هدوء لقليل من الوقت، قبل أن يلاحظ صاحب المحل أنني أمسك وردة حمراء شاخصًا من إحدى النوافذ إلى الشارع. كنت أسخر من الرومانسيين، فلماذا أقلدهم؟!

لم يحدث معي شيء يستدعي فرار دمعة من عيني اللهم إلاَّ أنني تذكرتُ صورة الفتاة وهي تؤكد لي أنها لا تستطيع أن تستمر معي لأنها تعرفت إلى شاب جديد وجَدَت فيه الشخص الذي ترغبه فعلاً، المشهد السابق لم يحدث سوى في ذهني، والفتاة ربما تختار أفضل ثيابها الآن لتقابلني بعد العمل، لكن المشكلة أنني أميل دائمًا إلى تقمص أدوار ربما أكون شاهدتُها في أعمال سينمائية.

وربما يكون سبب كراهيتي للرؤوس التي خصصتُها لفتيات أنني لا أستطيع السيطرة على مشاعري وأنسى رغبتي في أن أكون شخصًا لا يترفع على الواقع.

ألقى عليَّ صاحب المحل محاضرة في الضمير، كنتُ أنظر نحوه بمشاعر محايدة، وكانت حالة الغضب تسيطر عليه وتنفخ وجهه كالبالون، كان غضبه يزداد لدرجة أنني توقعت جملته التي أنهى بها المحاضرة: "اتفضل اخرج بره.. أنت مطرود"، في مثل هذا النوع من القصص يُسمح للبطل بمرة ثالثة، صاحب المحل سمح لي بالرابعة أيضًا.

في الثالثة جئت برأس المتدين، وكان من الطبيعي أن ينتظر الزبائن حتى أفرغ من صلاتي، وفي الرابعة جلستُ أتأمل، أتأمل أي شيء

fb/mashro3pdf

أمامي، حتى وجوه الزبائن أتأملها، كانت شفاههم تتحرك، ويقولون كلامًا غاضبًا، ولكنني لم أستطع قطع تأملاتي لأحقق مطالبهم. لديَّ رغبة في الحصول على فرصة خامسة، غير أن هناك أملاً يملؤني في عودة صديقي بدلاً من الدخول في تفاصيل مُرهقة ذهنيًّا!

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الخطف

كنتُ أمسك بـ"الجوان" بيدي اليمنى، وأفتشُ باليسرى عن سوستة البالطو، فشلتُ في العثور عليها، وشَعُرت بلسعات الهواء تخترقني كما يخترق الهواء فتحات شبكة أسلاك الناموس في باب الشاليه، ارتجفتُ وانتابني إحساس بأن شيئًا "يكلبش" في دماغي ويدفعني للتصرف بشكل خاطئ، فقد تركت "الجوان" في فمي وبدأت البحث عن السوستة بكلتا يديّ، وحينما عثرت عليها هاجمتني رجفات متتالية، وارتطم ذقني بعيدًا عن وجهي وارتطم بصدري، ووقع "الجوان" على البالطو ومنه إلى الأرض.

نفضتُ بسرعة موضع الرماد، ولكني وجدت ثقبًا كبيرًا. رغم الغضب مددتُ يدي بسرعة والتقطتُ "الجوان" قبل أن يتسرب إليه بلل الشاطئ. تم الإنقاذ في لحظة مناسبة، فقد هجمت موجة وعبرت قدميَّ مع تيار من الهواء القارس. شددتُ كتفيّ وأغلقتُ السوستة أخيرًا، ورفعتُ الياقة حتى لامست أذنيَّ ومنحتني إحساسًا سريعًا بالدفء. رغم هذا قررت العودة إلى "الشاليه"، دفعتُ بابَه وأغلقتُه خلفي بالمفتاح.

fb/mashro3pdf

كانت الإضاءة قوية، فاتجهتُ إلى المصباح في الركن الأيمن من الصالة وفتحتُها قبل أن أطفئ مفتاح لمبة النيون. ألقيتُ نفسي على الكنبة المواجهة للتلفزيون. قررتُ شغل نفسي بأي شيء قبل أن تداهمني الهواجس المتوقعة في حالة تدخيني "جوان" بمفردي. رأيت شخصًا يهرول بفزع في شارع مظلم وهو يتلفتُ في جميع الاتجاهات ثم انبعث صوت قرقعة زلزلني في مكاني وانقض شخص مجنح على الرجل المفزوع وطار به.

- وبعدين أنا مش ناقص اشتغالات!

لم أكن مستعدًا لأن يكون الفيلم مصدرًا للهواجس، قررتُ النهوض إلى الكرسي المواجه حيث تركتُ "الريموت" لأغير القناة، غير أني شعرت بالكسل، وانتبهت إلى أن اللقطة التالية كانت للرجل المجنح وهو يلتهم فريسته والدماء تقطر من جانبي فمه، ثم يرفع وجهه إلى أعلى ويُطلق صوتًا أقرب إلى العواء، ثم انتقلت الصورة لرصد تأثير الصوت على وجه كهل يقود عربة يجرها حصان. *توقعتُ* أنه سيكون الضحية التالية لأن السيارة مكشوفة، وهكذا يكون الانقضاض عليه- من أعلى- سهلاً.

وقع الرماد على فخذي فنفضته، ونهضتُ مُسرِعًا إلى الحمَّام وألقيتُ "التبَّة" في الحوض وفتحتُ الماء لأتأكد من انطفائها ثم ألقيتُها في السلة، وعدتُ متجهًا إلى الريموت. لذة الرهان انتصرت على الخوف وأزالته مثلما أُزيل السيلوفان عن علبة هدايا، كنتُ أريد أن أعرف ما

fb/mashro3pdf

إذا كنتُ مُحقًا في تصوري لمستقبل الرجل الكهل، وهو ما دفعني للتوقف بجوار الكرسي الذي يستقر أعلاه الريموت والتطلع إلى التلفزيون. فكرتُ في أن الرجل المُجنح شبع من جثة فريسته وربما يستريح قليلاً وهو ما سيتيح للكهل فرصة الهروب، ولكن المُجنح عوى مرة أخرى وطار من نافذة ضخمة بقصر قديم وانتقل المشهد إلى الكهل الذي كان يضرب الحصان بسوط ويحثه على الإسراع بصيحات متتالية ممتزجة بخوف معتق، ثم عاد إلى الرجل المجنح الذي سقط ظله على الأرض قريبًا من ظل العربة. في تلك اللحظة بدا لي كأن الظل خرج من التلفزيون ووقع فوقي مباشرة. كان الأمر قريبًا من الواقع فقد اقترن بصوت خافت لم أتبينه، ومع الذعر الذي ذكرني بالضحية الأولى انبطحتُ فورًا على الأرض، ثم قلبتُ نفسي بسرعة لأواجه الرجل المُجنح، وكانت هناك فراشة ضخمة تحوم في السقف، قبل أن تتجه إلى المصباح وتختفي خلفها، وفي اللحظة التالية سمعتُ صوت شوائها، ثم انطفأت الإضاءة.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

كوبرى السيدة

"أنا شفته وهو طاير". لا يدري متى كانت آخر مرة سمع فيها تلك الجملة.

لاحظَ وهو يسلم ناحية اليسار بُرصًا يسير فوق الحائط ويدوس نشع الجير الأخضر ليحوله إلى هشيم يتساقط على البلاط النظيف.

المشهد ضايقه، وحتى لا يشعر بالتشاؤم، وبخاصة أنه لم يبدأ يومه بعد، تلكأ في النهوض عن سجادة الصلاة، ورَفَعَ يده بالدعاء.

شعر بالطمأنينة قليلاً ودفع عن ذاكرته صوت صرير العربات المسرعة ثم فرملتها المفاجئة وظلها وهي تتجه إليه من السماء.

فكر ذات مرة أنَّ الله يختبره، لكنه تضايق من طول الاختبار، لم يسمع عن اختبار طويل سوى في حالة أيوب، وهو ليس على استعداد لتقمص دور أيوب الجديد، لأنه يعرف أنَّ النبوة لم تُكتب له. قال له القرين الأيمن إنَّ الوصول إلى هذه المرحلة من التفكير سيدفعه إلى منطقة

fb/mashro3pdf

الشرك، وغمزه في جانبه، مؤكدًا له أن الشيطان يجلس على طرف السرير، في هذه اللحظة. في هذه اللحظة ورغم تسرب رجفة صغيرة إلى بدنه تفل ثلاث مرات في الفراغ حيث يجلس الشيطان.

نظر إلى صورة زوجته وهو يتجه إلى الصالة، رحلتْ بعد أن شهدت سقوط السيارة السادسة من الكوبري على دكانه في السيدة. لا يدري- حتى الآن- السبب الذي كان يُضحكها حينما تعلم بأمر سقوط جديد، مع أنها كانت تعلم أيضًا المبالغ التي سيتكبدها لإصلاح الدكان.

فتح موظف رئاسة الحي شكواه، وقرأ بصوت بطيء: "مقدمه أحمد سلامة العوضي، صاحب دكان بقالة كائن بميدان السيدة عائشة، وتتلخص مشكلتي في أن كوبري السيدة به خطأ فني في المنطقة التي تعلو دكاني بالضبط، وكتبت عني الجرائد والمجلات- شَعَرَ عند هذه النقطة أنَّ صوت الموظف- بدأ يكتسي بالجدية وشَكَرَ ابن شقيقته الطالب الجامعي الذي كتب الشكوى- وشاع بين الناس باسم كوبري الموت، وهذا الخطأ الفني يؤدي إلى انفلات العجلة من أيدي السائقين، فيتجهون رغمًا عنهم إلى السور، ويسقطون فوق دكاني تمامًا، وبخلاف الجثث التي اضطررت إلى رؤيتها أكثر من عشر مرات، والعفاريت التي ملأت الدكان ودفعتني للاستعانة بشيوخ وقساوسة لإخراجها مما كبدني مبالغ طائلة تجاوزت الآلاف الثلاثة حتى الآن، فإنني أضطر في كل مرة إلى دفع مبالغ كبيرة لإصلاح الواجهة، وشراء بضاعة جديدة بديلة للتالفة، ورغم تقدمي بعشرين شكوى لكل الجهات الحكومية المعنية إلاَّ أنه لم

fb/mashro3pdf

يحدث شيء، ولم يدفع لي أحد أي تعويض عما تعرضت له، وبما أن الخطأ موجود فإن الحوادث ستستمر، أرجو الاستجابة إلى الشكوى وتعويضي بمبلغ مناسب، والتنسيق مع هيئة الطرق والكباري لهدم الكوبري وبنائه من جديد".

ضحك الموظف: مرة واحدة؟!

ركّز ليتبين هل يسخر أم لا، غير أن الموظف أكمل: أنا شخصيًا عارف إنك بتتعذب، بس احنا وكل الجهات الحكومية عملنا اللي علينا!

حاول قمع الغضب ولكنه انفلت كما ينفلت اللعاب من الفم لحظة التسمم: زي إيه يعني؟!

وهو يفتح باب البيت ويسير في الزقاق المؤدي إلى مجرى العيون رنت في ذهنه كلمات الموظف وهو يعيد إليه الشكوى مطوية، قال له إن إحدى هذه الشكاوى تسببت في إغلاق الكوبري أمام المواطنين ابتداءً من منتصف الليل وحتى السابعة صباحًا، كما أقامت هيئة الطرق والكباري مطبًا صناعيًا في مدخل الكوبري ووضعت لافتة تحذيرية للسيارات القادمة من صلاح سالم والأوتوستراد لتهدئة السرعة.

- مفيش فايدة!

جملة ربما أنهى بها الموظف الحوار بينهما، وربما قالها هو غاضبًا وهو يعيد الشكوى إلى جيبه، لا يتذكر بالضبط. وَصَلَ عند هذه اللحظة

fb/mashro3pdf

إلى مدخل الكوبري، رأى شخصًا يركن سيارته الفيات الحمراء ويزيح اللافتة- التي تشير إلى إغلاق الكوبري حتى السابعة صباحًا كل يوم- ويعود إلى سيارته مُنطلقًا إلى أعلى. نَظَرَ إلى ساعته، وَصَلَ إلى اللافتة وفكر، ماذا كان سيحدث لو أنَّ دكانه في هذا الجانب؟! السيارات القادمة من قصر العيني ومجرى العيون متجهة إلى صلاح سالم لا تتعرض إلى الانقلاب على رؤوس البائعين.

لوح لمن يعرفهم، ولم يركز في الطريقة التي حيوه بها، لاح له ميدان السيدة عائشة شبه خال، عَبَرَ من أسفل الكوبري إلى الناحية الأخرى حيث دكانه، فَهِمَ في تلك اللحظة أسباب خلو الميدان، فقد كان هناك جمع يحجب دكانه، خفق قلبه، بخاصة مع العبارة التي بدأت تصله: "أنا شفته وهو طاير". تَذَكَرَ زوجته وضحكتها، غير أن موجة كراهية صعدت إلى أعماقه، وشعر بأنه انتظر وقتًا طويلاً ليعترف لنفسه بكراهيتها.

fb/mashro3pdf

المحتويات

الصفحة

السكر في فراغات الشاي ٧
كلب يدخن ١٧
السهو والخطأ ٢٥
تمرين على رفع اليد ٣٣
أربعة مقاعد لضيف وحيد ٤٧
فرشاتان في الشارع ٥٣
جماعة النباتيين المتطرفة ٦١
قصة الرائحة ٧٣
الأمور السيئة ٧٧
شبح الفول الأخضر ٨١
غـــربـــان ٨٧
قابل للكسر ٩٣
شجرة نائمة ٩٧
ثمانية رؤوس ١٠٣
الخطف ١٠٩
كوبرى السيدة ١١٣

fb/mashro3pdf

الكتب خان للنشر والتوزيع®

١٣ شارع ٢٥٤ - دجلة - المعادي - القاهرة.

تليفون: ٠٢٠٢٢٥١٩٦٥٦٩+ - ٠٢٠٢٢٥١٧٠٦٧٨+

بريد إليكتروني: info@kotobkhan.com

موقع إليكتروني: www.kotobkhan.com

fb/mashro3pdf

في كتابه القصصي الأحدث، يبرع حسن عبد الموجود في تشييد عالم سردي اختُبرت عناصره بأشد الطرائق الفنية رهافة وحدة. نص تلو الآخر، ينهض الفرد، وحيدا وأعزل، على أنقاض صورة ثقيلة يتركها الوجود على حائطه. صورة زائفة في الغالب لا سبيل لمقاومتها سوى بصورتها الضد، حيث عالم افتراضي يدفع به الفرد مدعوما بالسلاح الوحيد الذي يلائم أعزل: السخرية التي تطفو بخفة حلم اليقظة فوق ثقل الواقع. بهذه الطريقة فقط، يمكن للطرافة أن تصير وجها فنيا للكابوس، وهو ما تجسده النصوص الخمس عشر التي ينتظمها "السهو والخطأ".

هذه قصص تفتات على أطراف المدينة أو أمكنتها التي تلائم العابرين. الضواحي البعيدة، أماكن العمل الضيقة المقبضة، الشقق المتاحة للغرباء والبارات المنسية هي الأمكنة الأثيرة هنا، حيث العزلة أكيدة، ولا فارق كبير بين بيت وشارع، أو غرفة ومقبرة. دائما ثمة بطل ترك بطولته في مكان ما، ولم يعد يمتلك سوى التأكد من أنه لا يزال موجودا، بتمرين يائس على رفع اليد أو محاولة عبثية لتمييز زوجته من بين أختين متطابقتين أو، حتى، بمجرد التأكد من أن جاره شخص حقيقي. في جميع الأحوال ستطل الغرابة برأسها من أشد اللحظات عمومية: هكذا يتقاطع وقوع كلب من شرفة منزلية، مع سقوط سرب سيارات على المارة من فوق "كوبري السيدة"، مثلما يرجع احتضار شجرة.. صدى صرخة قطيع غربان.

وبمجددًا، يبرع صاحب "ساق وحيدة" في استخدام شديد الخصوصية للغة، إذ تجيد اللغة التواصلية، وقد نزعت عنها تعقيدات البلاغة القائضة، اختراق السطوح الظاهرية للمشاهد، لتحول فعل السرد إلى فعل استبطان مدعوم بطاقة إيحائية توظف فيه اللغة السردية أقصى إمكاناتها، كاشفة في النهاية عن تعقيد الذات الإنسانية وهي تواجه ضجيج العالم بأعمق طرق المقاومة: تحويل الوجود إلى مشهد لا وجود له إلّا في مخيلة صاحبه، وحيث "صورنا في المرآة ليست متطابقة تماما".

الناشر

حسن عبد الموجود، كاتب مصري، مواليد نجع حمادي سنة ١٩٧٦، حاصل على ليسانس الآداب والتربية في ١٩٩٨. صدر له "ساق وحيدة"، قصص، و"عين القط" و"ناصية باتا" روايتان. حصلت روايته "عين القط" على جائزة ساويرس الثقافية في عام ٢٠٠٥، وترجمت إلى اللغة الألمانية وصدرت عن دار "لسان فيرلاج". حصل حسن على جائزة الصحافة الثقافية عن تحقيقه "حكايات الرهبان في وادي النطرون" في ٢٠٠٣.

Al Kotob Khan Book Shop
السهو والخطأ
63543
25.00LE

ISBN 978-977-803-017-4
9 789778 030174

fb/mashro3pdf